تيسير المنان

بشرح حديث

«ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان»

إعداد

حصة بنت عبدالعزيز الصفير

استاذ مساعد الحديث وعلومه

بكلية التربية للبنات بمكة المكرمة

ح دار المجتمع للنشر والتوزيع ، ١٤٢١هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الصغير ، حصة بنت عبد العزيز
تيسير المنان بشرح حديث ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان- جدة .
١٧٨ ص ، ٢٠ سم
ردمك : X - ٣١- ٧٧٦ - ٩٩٦٠
١- الأخلاق الإسلامية   ٢- الحديث - شرح .   أ- العنوان
ديوي ٢١٢،٢   ٢١/٤٧٠٤

رقم الإيداع : ٢١/٤٧٠٤

ردمك : X - ٣١- ٧٧٦ - ٩٩٦٠

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

الناشر
دار المجتمع للنشر والتوزيع

الرئيسي جدة - ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ - جدة ٢١٥١١ { الإدارة ٦٨٩١٤١٧ - المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ - الفاكس ٦٨٩٤١٤٤
الفروع: الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ - الفاكس ٨٩٤١١٣٦
• المدينة المنورة - الدائري الثاني - دوار القبلتين - ص.ب ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٢٣٦٣٠٦ - الفاكس ٨٢٣٦٣٠٦

بسم الله الرحمن الرحيم

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ﴿ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار ﴾

متفق عليه.

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعه إلى يوم الدين .

وبعد :

فقد أتم الله تبارك وتعالى علينا نعمه ظاهرة وباطنة بالإسلام العظيم حيث رضيه لنا ديناً ، وجعل خاتمة رسله – صلوات الله وسلامه عليهم – وأفضلهم محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه – لنا نبياً ، فله الحمد تعالى على عظيم فضله وجزيل نعمائه ، ونسأله تعالى أن يحيينا بالإسلام ويثبتنا عليه ويوفقنا لنصرته ، وأن يتوفانا على أوثق عراه فيحسن به ختامنا ويبعثنا عليه غير مفرطين ولا غالين وأن يحشرنا في زمرة المتقين ويجمعنا بنبينا ﷺ في جنات النعيم إنه تعالى أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين .

ولعل من أوجب واجباتنا نحو شكر هذه النعمة الجليلة والعبودية لمسديها تبارك وتعالى أن نتفقه في ديننا، وأن نحمله بقلوبنا وجوارحنا ونطوي عليه أسمي شعورنا وأدق مظاهر سلوكنا .

ذلك أن مقتضى وجود المسلم هو أن يحقق عبوديته لله تعالى من خلال العمل بالوحيين اللذين أنزلهما على نبيه ﷺ القرآن ، والسنة الصحيحة ، ودعوة الناس إليهما .

وهذا الدور هو المسوغ الوحيد لحياة الأمة الإسلامية ووجودها أفراداً وجماعات على هذه الأرض لأن تحقيق عبودية الله بدين الإسلام هو الغاية الوحيدة التي من أجلها خلق الله الإنس والجن ، ومن أجلها أخرج الله للناس هذه الأمة خاصة حيث قال عز من قائل :

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾(آل عمران: ١١٠) .

ولما كان التفقه في الدين هو السبيل لشكر تلك النعمة، ولأداء هذه المهمة بلا شك ، فإن حاجة المسلمين اليوم ماسة إلى فهم أصل عظيم تدور رحى الإسلام عليه ، بينَّه الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ﴾(البقرة: ١٦٥) .

وقوله تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١) .

وفصَّله حديث جليل – كم تعاني الأمة من غياب فهمه الصحيح ، وكم تعاني نفوس المسلمين أفراداً وجماعات من الغفلة عن العمل به .

بل لعلنا لا نعدو الصواب إن قلنا : إن ما أصاب المسلمين ويصيبهم اليوم من تمزق واختلاف وضلالات وبدع إنما هو بسبب غياب الفهم الصحيح والتطبيق السليم لمقتضيات هذه الآية والحديث المفسر لها .

ذلكم هو قوله ﷺ (ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار) .

فهذا الحديث أصل في بيان الفرائض الإسلامية المتعلقة بالقلوب حيث يتضمن منهج تحقيق شهادة (**لا إله إلا الله محمد رسول الله**) في ميدان التفكير والشعور والإرادة ، فكما أن الأمة يتوجب عليها إعادة جميع شعائر الإسلام ومظاهره السلوكية والعملية الفردية والجماعية فإنها في أمس الحاجة لتأصيل مشاعرها ومنهج تفكيرها ودوافع سلوكها - إسلامياً بحيث تصطبغ بصبغة الإسلام التي رضيها الله لها ﴿ *صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ* ﴾(البقرة:١٣٨).

بل لعل هذا هو العمود الفقري لفلاح هذه الأمة في إقامة دين الإسلام ، واستقامتها على منهج السلف الصالح.

ذلك أن واجبات القلوب – كما يقول ابن القيم –هي أشد وجوباً من واجبات الأبدان وتأكداً منها ، والحال أنها عند كثير من الناس كأنها ليست من واجبات الدين بل هي عندهم من باب الفضائل والمستحبات ، فترى أحدهم يتحرج من ترك واجب من واجبات البدن وقد ترك ما هو أهم من واجبات القلوب ، ويتحرج من فعل أدنى المحرمات وقد ارتكب من محرمات القلوب ما هو أشد تحريما وأعظم إثما والعياذ بالله [1] .

ولا ريب أن أعظم واجبات الدين وأكبر أصوله وأجل قواعده هي محبة الله تعالى لأنه سبحانه لم يخلق الجن والإنس إلا لعبادته ، وعبادته هي كمال محبته وكمال تعظيمه والذل له ، ولذلك أرسل الله رسله .

وهذه المحبة هي أصل دين الإسلام وجميع أعماله فبكما لها يكمل توحيده وبنقصها ينقص توحيده ، فلا يحقق المسلم عبوديته لله مهما أتى من أعمال الدين الظاهرة إلا أن يكون الله تعالى أحب إليه من كل ما سواه على الإطلاق – فمن أحب

---

[1] إغاثة اللهفان (٢/١٨٠) بتصرف .

مخلوقاً مثل ما يحب الله فهو من الشرك الذي لا يُغفر لصاحبه ولا يُقبل معه عمل .

والشرط الثاني أن يكون رسوله ﷺ أحب إليه من نفسه وأهله وولده والناس أجمعين ، إذ محبته ﷺ تبع لمحبته تعالى.

وكذلك محبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه [١] .

فهذه الأمور الثلاثة التي تضمنها الحديث .

وهكذا نجد أن هذا الحديث يدور على بيان المحبة التي يقوم عليها أصل دين الإسلام وأصل حركة الإنسان ذلك لأن كل فعل وحركة في الوجود إنما تصدر عن محبة محمودة أو مذمومة[٢] .

فحركات الإنسان كلها إرادية كانت أو طبيعية أو إجبارية إنما تحركها المحبة المكتسبة أو الفطرية ، فالمحبة هي أصل كل عمل يعمله الإنسان ، وهي التي تحركه لطلب ما يريد ويقصد.

تأمل أي عمل تريده تجد أنك تعمله بقصد التنعم والحصول على لذته إما طلب منفعة أو لدفع مضرة ، فالتنعم بما تحب هو المقصود الأول من كل فعل وكل حركة ،وكل حي إنما يعمل

---

[١] إغاثة اللهفان (١٩٦,١٩٥/٢)بتصرف .

[٢] مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤٩/١٠).

لما يرغب من لذة بحسب ما يحب ولا صلاح للإنسان إلا أن يكون مقصده وغاية حركته ودوافع سلوكه هو إرضاء الله تعالى والأنس به ومحبته ، كما لا جود له أصلا إلا أن يكون الله وحده هو ربه وخالقه .

وإذا تبين هذا فإن أصل المحبة التي خلق الله الخلق لأجلها وأمرهم بها هي محبته وحده لا شريك له لأن العبادة مبنية على المحبة ، بل المحبة هي حقيقة العبادة التي هي (غاية الحب مع غاية الذل) ولا يصلح ذلك إلا لله وحده[1].

ثم إن كل عمل من أعمال الإيمان والدين لا يقبل شرعا إلا إذا صدر عن محبة الله فإنه تعالى لا يقبل من العمل إلا ما قصد به وجهه خالصاً كما ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال :

{يقول الله تعالى أنا أغني الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً فأشرك فيه غيري فأنا منه بريءٌ وهو كله للذي أشرك} .

كما أن العمل الصادر عن محبة مذمومة عند الله لايكون عملاً صالحاً [2] فلو تعبدت الله بدون محبة صارت عبادتك

---

[1] انظر تقرير ذلك كله وبيانه في إغاثة اللهفان (٢/١٢٥، ١٣٢- ١٣٦) .

[2] مجموع الفتاوى (١/٤٩) .

قشراً لا روح فيها ، وإذا كان الإنسان في قلبه محبة لله ومحبة للوصول إلى جنته فسوف يسلك الطريق الموصل إلى ذلك ، ولهذا لما أحب المشركون ألهتهم أدت بهم تلك المحبة إلى أن عبدوها من دون الله أو مع الله [١] .

وقُلْ مثل ذلك فيمن أحب أصحاب القبور ممن يعتقد بولايتهم محبة تؤدي به إلى التعلق بهم واعتقاد نفعهم أو ضرهم، وكذلك فيمن أحب ما سوى الله لغير الله من أشخاص أو شهوات ، وغير ذلك من صور الانحراف الذي وقع في هذا الأصل العظيم من أصول الدين ، وما تبع ذلك من إحداث بدع وضلالات وفرقة مما يؤكد خطورة إهمال الجانب القلبي الاعتقادي من دين الإسلام .

ولذلك نجد أن لب هذا الدين هو إصلاح أعمال القلوب ودوافع السلوك التي إنما تدور كلها على أساس واحد هو المحبة، فهذا الحديث – الذي بين يديك شرحه- يبين الواجبات الشرعية للقلوب ، ويقرر الضوابط الشرعية للمشاعر ودوافع السلوك والأفعال ، ويحدد الإطار الإسلامي الصحيح الذي لا

---

[١] مذكرة شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ص (٣٧٧) .

يقبل الله سواه للحب المحرك لجميع الأعمال قولية كانت أو فعلية ، ويقرر قواعد الذوق الإيماني (حلاوة الإيمان) كما شرعه الله لا كما تدعيه الصوفية .

فما كان في هذا الشرح من صواب فهو بتوفيق الله وفضله وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان ، ونسأل الله تعالى أن ينفع به مؤلفه وكاتبه وقارئه وأن يجعله خالصاً لوجهه العظيم مقبولاً عنده إنه تعالى ولي ذلك والقادر عليه.

وستشتمل هذه الدراسة على ما يلي :

- تخريج الحديث – شرح ألفاظ الحديث .
- شرح الخصلة الأولى وتتضمن محبة الله تعالى ، ثم محبة الرسول ﷺ .
- شرح الخصلة الثانية : وهي الحب في الله .
- شرح الخصلة الثالثة .
- السر في كون حلاوة الإيمان في اجتماع هذه الخصال الثلاث .
- فوائد الحديث ثم الخاتمة والمراجع .

كتب عام ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

نص الحديث :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال :

{ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار } متفق عليه .

وفي رواية . عند البخاري أيضاً :

{.... من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله ، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله كما يكره أن يلقى في النار} . [١]

وفي لفظ آخر عند البخاري أيضاً :

{ لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا لله، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما } [٢] .

---

[١] البخاري مع الفتح (١/٧٢) .

[٢] الصحيح مع الفتح (١٠/٤٦٣) .

وفي لفظ لمسلم { ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان}[١] وفي آخر {وجد طعم الإيمان } [٢] .

وفي لفظ آخر { من أن يرجع يهوديا أو نصرانياً } [٣]

وفي رواية عند النسائي { وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه} وفيه { وأن يحب في الله ، وأن يبغض في الله وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً[٤]} وفي لفظ آخر { وجد بهن حلاوة الإسلام}[٥]

وفي رواية عند الإمام أحمد { وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يوقد له نار فيقذف فيها}[٦] .

مواطن الحديث :

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الإيمان ، باب حلاوة الإيمان [الصحيح مع الفتح ١/٦٠] وباب من كره أن يعود في الكفر كما يكره أن يلقي في النار من الإيمان [١/٧٢] وفي

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٣) .

(٢) (٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٢/١٤) .

(٤)(٥) سنن النسائي بشرح السيوطي [٨,٩٥,٩٧] .

(٦) مسند أحمد [٣/١٠٣] .

كتاب الأدب باب الحب في الله [٤٦٣/١٠] . وفي كتاب الإكراه باب { من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر} [٣١٥/١٢] والإمام مسلم في صحيحه كتاب : الإيمان: باب خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان صحيح مسلم شرح النووي [١٤،١٣/٣] والإمام الترمذي في سننه كتاب الإيمان ، باب رقم [٢٦٢٤] (١٥/٥) وقال (هذا حديث حسن صحيح) .

والإمام النسائي في سننه كتاب : الإيمان وشرائعه باب: (طعم الإيمان) وباب (حلاوة الإيمان) [٩٦،٩٥/٨]. وابن ماجة في سننه كتاب الفتن باب الصبر على البلاء والإمام أحمد في مسنده [١٠٣/٣] وغيرهم .

شرح ألفاظ الحديث :

قوله ﷺ { ثلاث من كن فيه } أي ثلاث خصال ، حذف المضاف إليه وعوض بالتنوين فجاز الابتداء بالنكرة فقوله (ثلاث) مبتدأ والجملة بعده { من كن فيه وجد حلاوة الإيمان } خبر [١] وقوله {كن فيه} يحتمل تقديرين[٢] .

---

[١] فتح الباري [٦٠/١] ، حاشية السندي على سنن النسائي [٩٤/٨] .

[٢] حاشية السندي على سنن النسائي [٩٤/٨] ، عشرون حديثا من صحيح البخاري / عبد المحسن العباد [١٦٣] .

أ- أن تكون كان تامة والمعنى : ثلاث من وجدن فيه وجد حلاوة الإيمان .

ب- أن تكون كان ناقصة والمعنى ثلاث من كن مجتمعة فيه وجد حلاوة الإيمان . وفي هذا التعبير من دقائق البلاغة النبوية أمران :

١- تقديم عدد الخصال التي ستُبين ؟وتنكير العدد من باب الإجمال الذي يسبق التفصيل وهو أسلوب بليغ له أثره في إثارة انتباه السامع وتطلعه لمعرفة تفاصيل الأمر المذكور.والغرض منه تشويق السامع وترغيبه في معرفة الخصال الثلاثة التي يتحصل بها على حلاوة الإيمان [١] .

ومثل هذا الأسلوب نجده يتكرر في حديثه صلوات الله وسلامه عليه كقوله ﷺ{فضلنا على الناس بثلاث} {أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي } {سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله} وهو من خصائص البلاغة النبوية .

٢- ظاهره أن العدد مقصود أي باجتماع الثلاث في قلب المؤمن يستكمل حلاوة الإيمان .

---

[١] انظر : قطوف من رياض السنة ص [١٤٧] .

ويؤيده رواية { لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى ..} ثم ذكر الخصال الثلاث فقط وأما قوله ﷺ في الحديث الآخر { ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولاً}[١] فهو بيان لبعض لوازم الخصلة الأولى من هذا الحديث والله تعالى أعلم .

قوله ﷺ { وجد حلاوة الإيمان } وفي رواية { وجد طعم الإيمان } .

وفي رواية { وجد بهن حلاوة الإيمان وطعمه } .

وفي رواية { وجد بهن حلاوة الإسلام }[٢] .

(وجد) أي أدرك وأصاب ، وحصل ، ونال .

(بهن) أي بسبب وجودهن ،واجتماعهن فيه .

(حلاوة الإيمان) مركب إضافي .

والحلاوة مصدر (حلا الشي يحلو) وهو نقيض المر ، إذا لذ وطاب [٣].

---

(١) صحيح مسلم كتاب الإيمان باب الدليل على أن من رضي بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً فهو مؤمن [٢/٢] .

(٢) سبق تخريج هذه الروايات .

(٣) المصباح المنير مادة حلا [١٤٩] ، عمدة القاري [١٤٦/١] .

وقيل الحلاوة الحسن يقال : حلا الشيء في الفم إذا صار حلواً ، وإن حسن في العين أو القلب قيل:حلا لعيني[١] .

والإيمان هو الإقرار باللسان والاعتقاد بالجنان والعمل بالأركان .

فهو قول اللسان والقلب وعمل القلب والجوارح. فقول القلب اعتقاده وتصديقه وقول اللسان إقراره ،وعمل القلب تسليمه وإخلاصه ، وإذعانه وحبه وإرادته الأعمال الصالحة ، وعمل الجوارح فعل المأمورات وترك المنهيات[٢] فلا يصدق على المسلم وصف الإيمان حقيقة إلا بوجود هذه الأمور الثلاثة، فالإيمان ليس مجرد التصديق بالقلب بل لابد أن يظهر على اللسان والجوارح كالشمس التي تظهر على كل الوجود وتشع على كل موجود .

- **ومعني (حلاوة الإيمان)** حسنه ولذاذته والسرور به والبهجة به وطمأنينة النفس به .

---

(١) الكواكب الدراري للكرماني [٩٩/١] وشرح السيوطي على سنن النسائي [٩٤/٨].

(٢) شرح العقيدة الطحاوية [٣٣٢] مجمل أصول أهل السنة والجماعة في العقيدة: د. ناصر العقل / ١٨ .

■ **المراد بحلاوة الإيمان** : انشراح الصدر له ولذة القلب به وقوة النفس باليقين الذي يخالط اللحم والدم بحيث يؤدي إلى استلذاذ الطاعات وتحمل المشقات في سبيل رضا الله عز وجل ورسوله ﷺ وإيثار ذلك على عرض الدنيا[١] .

فللإيمان لذة في القلب يتنعم بها المؤمن حتى يدفع بها أشد الآلام وأمرها يعلمها من شرح الله صدره للإسلام فاللهم ارزقناها مع الدوام عليها [٢] .

وبالجملة فحلاوة الإيمان هي سعادة روحية وقلبية ونفسية يشعر بها المؤمن كامل الإيمان وهي لذة عميقة طويلة البقاء يستمتع بها من كان مؤمنا حقاً كامل الإيمان يحب الله ورسوله ﷺ أكثر مما يحب أي شيء سواهما حتى نفسه .

ولا يعرف قيمة حلاوة الإيمان إلا من ذاقها في قرارة نفسه وأعماق فؤاده فاللذات والسعادات يعسر تصويرها بالعبارات ، ولكن متى أحس بها سعد واستمتع وسكن إليها قلبه واطمأنت نفسه وأخذت تعبُّ منها جوارحه عباً هنياً فتنشط للعمل بما يوجبه الإيمان وبما يستدر حلاوته .

---

(١) شرح النووي على مسلم [١٣/٢] ، إرشاد الساري [٩٨/١] .

(٢) حاشية السندي [٩٥/٨] بتصرف .

وليست حلاوة الإيمان بمجرد الخلاص من القلق والاضطراب والشك والحيرة إنما هي سعادة وجودية فوق ذلك يقذفها الله في قلوب عباده مع ما فيه من سعادة الخلاص من الآلام التي يجلبها الكفر والعصيان للعصاه الكافرين [١].

وقد عبر عن حلاوة الإيمان بالطمأنينة وانشراح الصدور والسكون والرضا بما قسم الله تعالى ، وهذا نراه في المسلم بخلاف الكافر ، فهو مهما يكن في نعمة إلا أنه غير مرتاح البال والضمير وكما عبر شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذه الحلاوة بقوله [٢] :

(إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة)

- **هل هذه الحلاوة محسوسة أي على سبيل الحقيقة أم هي مجاز ؟**
- **اختلف العلماء في ذلك على قولين :**

الأول :

أن الحلاوة إنما تكون في المطعومات والإيمان ليس مطعوماً ، فظهر أن هذا على سبيل المجاز والاستعارة حيث شبه الإيمان

---

[١] الأخلاق الإسلامية [٢/٢٥٤] .

[٢] المعارف السنية : ابن القيم / ٢٥ .

بالعسل ووجه الشبه هو الاستلذاذ وميل القلب له ثم حذف المشبه به وأثبت له صفة من صفاته أو لوازمه وهي الحلاوة [١]

الثاني :

أن لفظ الحلاوة على حقيقته فتوجد حلاوة محسوسة للإيمان فعلا وهي الطمأنينة والراحة والانشراح الذي يدرك بالقلب ، فيحسها ويتنعم بها القلب السليم من أمراض الغفلة والهوى ويتذوق طعم الإيمان ويتنعم به كما يذوق اللسان طعم العسل وغيره من ملذات الأطعمة ويتنعم بها .

وبهذا يبقى اللفظ على ظاهره من غير تأويل .

وهو القول الراجح لأن هذا هو ما يليق بالأدب مع النص الكريم ، وإضافة الحلاوة إلى الإيمان يرد على قولهم إن الحلاوة في المطعومات خاصة ، فقد أثبت الحديث حلاوة حسية خاصة مناسبة للإيمان يتلذذ بها القلب حين يتشبع بحب الله ورسوله ﷺ وينشرح بحصول الخصال الثلاثة المذكورة في الحديث .

(وهذا أمر لا يدركه إلا من وصل إلى ذلك المقام فلا يليق

---

[١] وانظر عمدة القاري [٤٦/١] ، شرح السيوطي لسنن النسائي [٩٤/٨] ، فتح المبدي [٥١/١] .

ادعاء أنه غير مراد) [1] . ويشهد لذلك أحوال الصحابة رضوان الله عليهم والسلف الصالح فهذا بلال رضي الله عنه وهو يتقلب على رمضاء مكة وفوقه الصخر الحار ، والسياط تلهب جسده ، ثم هو يردد في طمأنينة { أحد أحد } .

فتلك هي حلاوة الإيمان تتلاشى أمامها مرارة العذاب.

وهذا أحد الصحابة الأنصار كان يحرس الرسول ﷺ وأصحابه في غزوة ذات الرقاع فقام يصلي ويقرأ القرآن فرصده رجل من الكفار ورماه بسهم فأصابه ونزعه واستمر في صلاته ، ثم رماه بثان فصنع كذلك ثم رماه بثالث فنزعه وركع وسجد وقضى صلاته ثم أيقظ رفيقه بعد أن بلغت الدماء منه ما بلغت وقال :{ كنت في سورة فأحببت أن لا أقطعها} وما ذاك إلا لما وجد من حلاوة ولذة الإيمان في هذه الطاعة ،تلك الحلاوة التي أذهبت عنه آلام تمزيق جسده بالسهام . كل هذا يؤكد أن تلك الحلاوة حسية مدركة بالقلب يعرفها ويتذوقها من وصل إلى ذلك المقام .

---

[1] فتح الملهم [١٠٨/١] نقله عن ابن أبي جمرة ، ورجحه أيضا الزبيدي في فتح المبدي [٥١/١] .

وكما قال الشاعر :

إذا لم تر الهلالَ فسلم *** لأناس رأوه بالأبصار [١]

لماذا عبر بالحلاوة : اجتهد العلماء في فهم هذا التعبير كما يلي :

أ – لأن الحلاوة هي أظهر اللذات الحسية . [٢] وهذا على مذهب من يرى أن الحلاوة هنا استعارة وإلا فالحديث أثبت للإيمان حلاوة خاصة ، قال ابن أبي جمرة : إنما عبر بالحلاوة لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ (سورة إبراهيم : ٢٥) .

فالكلمة هي كلمة الإخلاص والشجرة أصل الإيمان وثمرتها عمل الطاعات وحلاوة الثمر جني الثمرة [٣] .

ب – في هذا التعبير النبوي الكريم إشارة إلى زيادة الإيمان ونقصه فناقص الإيمان لا يشعر بالحلاوة كالمريض قد يجد طعم العسل مراً ، والصحيح يذوق حلاوته كما هي فكلما نقصت الصحة شيئا نقص ذوقه بقدر ذلك[٤] .

---

[١] فتح الملهم [١/١٠٨-١٠٩] .

[٢] انظر عمدة القاري [١/٤٦] .

[٣] انظر : فتح الباري [١/٦٠] .

[٤] شرح السيوطي على سنن النسائي [٨/٩٥] .

وإن اتفق لبعض الصوفية أن يعبروا عـــن المحبـة بـالذوق والحلاوة كما عبر عنها الرسول ﷺ فهو من الصواب الممزوج بالباطل .

أما كيف يدرك القلب هذه الحلاوة ؟

الحلاوة واللذة أمر يحصل عقب إدراك الشـــيء المحبـوب فالإنسان مثلاً يشتهي الطعام ويحبه فإذا أدركه وتناوله حصلت له اللذة ، فاللذة والحلاوة تتبع المحبة دائماً .

وهكذا جميع ما يحصل للنفس من اللذات والفرح ، فمـن أحب شيئا أو اشتهاه ، إذا حصل له مراده فإنه يجد الحـــلاوة واللذة والسرور بذلك [1] . فالشعور بحلاوة الإيمان إنما يتبـع وجوده وبالخصوص يتبع حصول الخصال الثلاث الـتي نـص عليها الحديث فمتى حصلت وجد حـــلاوة الإيمــان ، ومـتى كملت محبة العبد لله ثم لرسوله ﷺ ومتى خلصت محبته لسـواه من شوائب الأغراض الدنيوية ومتى ترسخت في قلبه كراهـة الكفر وأهله تبع ذلك الإحساس العميق بلذة الإيمان والفـرح والتنعم به ، والأنس بالله ، والسرور بذكره، والشوق إلى لقائه والطمأنينة التي تفيض على جوانبه فتملأ جميع جوارحه وتظهر

---

[1] مجموع فتاوى ابن تيمية [٢٠٥/١٠] بتصرف .

على سلوكه . وقوة ذلك الشعور بالفرح والسعادة وضعفه وزيادته ونقصه هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصه[١].

وقد عبر شيخ الإسلام ابن تيمية عن خلاصة ذلك بقوله:[٢]

(فحلاوة الإيمان المتضمنة من اللذة به والفرح ما يجده المؤمن الواجد من حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله وذلك بثلاثة أمور :

تكميل هذه المحبة ، وتفريعها ، ودفع ضدها

فتكميلها : أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما فإن محبة الله ورسوله لا يكتفى فيهما بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما .

وتفريعها : أن يحب المرء لا يحبه إلا لله .

ودفع ضدها : أن يكره ضد الإيمان أعظم من كراهته الإلقاء في النار) .

(فالإيمان إذا باشر القلب وخالطته بشاشته لا يسخطه القلب ، بل يحبه ويرضاه ، فإن له من الحلاوة في القلب واللذة والسرور

---

(١) إغاثة اللهفان [١٩٨/٢] .

(٢) في مجموع الفتاوى [٢٠٥/١٠-٢٠٦] .

والبهجة ما لا يمكن التعبير عنه لمن لم يذقه)[١] .

قال : (والناس متفاوتون في ذوقه والفرح والسرور الذي في القلب له من البشاشة ما هو بحسبه ، وإذا خالطت القلب لم يسخطه ، قال تعالى : ﴿ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (سورة يونس٥٨) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ (التوبة : ١٢٤) .

فأخبر سبحانه أنهم يستبشرون بما أنزل من القرآن ، والاستبشار هو الفرح والسرور ، وذلك لما يجدونه في قلوبهم من الحلاوة واللذة والبهجة بما أنزل الله[٢].

وكلما كان القلب أقرب إلى السلامة من الأمراض والأسقام كان سليم الإدراك فأحس بلذات الإيمان وحلاوته لصحة إدراكه وسلامة ذوقه[٣] .

---

(١) مجموع الفتاوي [١٠/٦٤٨] .

(٢) المرجع السابق .

(٣) فتح الملهم [١/١٠٩] .

وكلما حقق المؤمن خصال الحديث الثلاثة كانت محبته أكمل وكانت الحلاوة واللذة والسرور أقوى وأتم فإن الحلاوة التي يجدها المؤمن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة، والنعيم الذي يحصل له بذلك أتم من كل نعيم ،واللذة التي تناله أعلى من كل لذة وقد عبر عنها أحدهم بقوله : { إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة في مثل هذا . إنهم في عيش طيب} وعبر عنها آخر بقوله { لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف [١] فحلاوة الإيمان يحسها الإنسان عند تكامل تلك الصفات لديه ويتذوقها القلب ، وذلك لأن القلب أشد إدراكا وأقوى من الحواس فشعوره باللذائذ المعنوية أعظم وأقوى من شعور الحواس باللذائذ الحسية، فتكون لا محالة لذة القلب بما يدركه من حلاوة الإيمان أتم وابلغ وأقوى من أي لذائذ أخرى [٢] .

ويحتاج القلب لإدراك تلك الخصال الموجبة لذلك النعيم يحتاج مجاهدة مستمرة فمن جاهد نفسه على ذلك وجد حلاوةالإيمان وتتفاوت مراتب المؤمنين بحسب ما يحصله كل

---

[١] إغاثة اللهفان [١٩٧/٢] بتصرف .

[٢] فتح الملهم [١١٠/١] بتصرف .

منهم من هذه الخصال ، وبحسب مجاهدته في ذلك . والله تعالى أعلم .

المحبة

الحديث كله يدور على أمر معين هو المحبة وقبل بيان معاني الخصال الثلاثة يحسن تعريف المحبة وتوضيح المراد بها ، وخصائصها ومراتبها وأقسامها .

تعريف المحبة :

المحبة لغة :

تدور مادة المحبة في اللغة على خمسة أشياء [1] .

١- الصفاء والبياض يقال لصفاء وبياض الأسنان حبب الأسنان .

٢- العلو والظهور ومنه حبب الماء وهو ما يعلوه عند المطر الشديد .

٣- اللزوم والثبات ومنه [حب البعير وأحب] إذا برك ولم يقم .

٤- اللب ومنه حبة القلب أي لبه وداخله .

---

[1] أنظر لسان العرب مادة حبب [١/٢٩٢-٢٩٥.. مدارج السالكين [٣/٩ ، ١٠] .

٥- الحفظ والإمساك ومنه حِبُّ الماء : الوعاء الذي يحفظ فيه.

قال ابن القيم : ولا ريب أن هذه الخمسة من لوازم المحبة فإنها صفاء المودة ، وظهورها من القلب وثبوت إرادة القلب للمحبوب ولزومها له ، ولإعطاء المحب محبوبه لبه وأشرف ما عنده وهو قلبه ، ولاجتماع إرادته وهمومه على محبوبه [١] .

غير أن أصل اشتقاق الحب هو من الملازمة والثبوت فالمحب ملازم لمحبوبه ثابت القلب على حبه ، مقيم عليه ، لا يبغي عنه تحولاً ، وهو بالضم (الحب) لقوة الضم المناسبة لقوة الحب ، ولأن في الضم من الجمع ما يوازي ما في معنى الحب من جمع الهمة والإرادة على المحبوب [٢] .

المحبة في الاصطلاح :

فأما المحبة في الاصطلاح فأروع ما قيل فيها ما ذكره ابن القيم رحمه الله أن المحبة لا تحد أي ليس لها تعريف يحددها ،لأن التعريفات لا تكون إلا للأمور الخفية المستورة حتى تعرف بها ، أن المحبة فهي ينبئك عنها القلب والحدود لا تزيدها إلا خفاءً وجفاءً فحدها وجودها ولا توصف المحبة بوصف أوضح

---

[١] مدارج السالكين [٣/١٠] بتصرف .

[٢] شرح العقيدة الواسطية للشيخ ابن عثيمين [مذكرة] ص [٨٣] .

منها[١] ولا أقرب إلى الفهم من لفظها فهي ألطف وأرق من كل ما يعبر به عنها . فالسبب في أن المحبة لا تحد هو [٢] :

أ – أن الحدود [التعريفات] تحتاج إليها الأمور الخفية حتى تظهر وليست المحبة كذلك .

ب – أن المحبة ينبئ عنها القلب وتقصر الكلمات عن التعبير عنها ، ولا تزيدها الحدود إلا جفاء وخفاء .

وكل من عرَّف المحبة إنما ذكر شواهدها وآثارها ولوازمها وما يدل عليها ، ولم يعرفها بذاتها ، فكلمة الحب نفسها تدل على معان عميقة هي أصل الدين ، وموقعها القلب .

كما أن الإخلاص موقعه القلب ، والدين كله قائم على الإخلاص قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ (البينة آية :٥) .

ومن أقرب التعريفات [٣]

أنها الميل إلى موافقة الحبيب وإيثاره في المشهد والمغيب، ثم هذا الميل له أسباب أو دوافع ثلاثة هي : [٤]

---

[١] مدارج السالكين [٣/٩] .

[٢] انظر : من هدى النبوة [١٣١] .

[٣] مدارج السالكين [٣/١١] بتصرف .

[٤] انظر : فتح الملهم [١/١٠٩] قطوف من رياض السنة [١٤٧] .

١- **اللذة المادية** : فيكون الميل لما يستلذه ويستحسنه لحسن الصورة أو الصوت أو الطعم ونحوه .

٢- **اللذة المعنوية** : فيكون الميل لما يستلذه من المعاني الباطنة كمحبة الصالحين وأهل الفضل .

٣- **النفع** : كمحبة الشيء الذي ينتفع به .

وهذا يفسر لنا شيئا من طبيعة المحبة ويقودنا إلى تقرير أهم خصائص المحبة وهي أنها كسبية :

قد يظن البعض أن الحب – وكذلك ما يضاده وهو البغض أمران فطريان لأنهما من شأن القلوب ، فلا يستطيع الإنسان التحكم فيهما .

والجواب على ذلك أن المحبة أمر مكتسب دل على ذلك نصوص القرآن والسنة ، وشاهد العقل وذلك من وجوه :

١-قوله تعالى :

﴿ *وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ* ﴾ (البقرة ١٦٥) .

- فقوله (يحبونهم) فعل يدل على الكسب والاختيار .
- واختلاف الفريقين في المحبة حيث (الذين آمنوا أشد حباً لله) جاء في سياق الثناء على المؤمنين ولو كانت المحبة أمراً

جبلياً فطرياً لما اختلفوا فيه ، كما لا يكون الثناء إلا على أمر يمكن اكتسابه والله تعالى أعلم .

٢- قوله ﷺ لعمر رضي الله عنه لما قال : { يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل شيء إلا من نفسي } فقال النبي ﷺ: { لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك } فقال له عمر : { فإنه الآن والله لأنت أحب إلى من نفسي } فقال ﷺ { الآن يا عمر } [1] .

فقوله ﷺ : **{ لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك }**

أي لا يكمل إيمانك ولا يتم حتى تحبني أكثر من نفسك ، فلما تقرر في نفس عمر رضي الله عنه أنه أحب إليه من نفسه ووجد ذلك في غاية الوضوح أقسم أنه ﷺ أحب إليه من نفسه ، فدل ذلك الطلب وهذه الإجابة على أن المحبة مكتسبة.

٣- **إن هذه المحبة المخصوصة** (لله ولرسوله ، وللمؤمنين في الله) مطلوبة شرعاً وشرط لصحة الإيمان الواجب لقوله تعالى في وصف الذين آمنوا :

﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾ (سورة البقرة ١٦٥).

---

[1] الصحيح مع فتح الباري [٥٢٣/١١] .

ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بمحبته :

{ لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين } [١]

ولقوله صلى الله عليه وسلم فيما يتعلق بمحبة المؤمنين : **{لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه }** [٢]

كما أن ذوق حلاوة الإيمان ربط بوجود هذا الحب كما في الحديث:**{ ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان}**

كل ذلك دل على أننا مأمورون بأن نتعبد الله بهذه المحبة فدل على أن اكتسابها ممكن لأن الله تعالى لا يكلفنا ما لا نطيق قال تعالى : { ***لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا*** } (البقرة ٢٨٦) .

٤- **أن المحبة موقعها القلب** ، وهو أيضا موطن الإيمان والاعتقاد ، والقلب تابع للعقيدة والإيمان فمن آمن بالله ورسوله وجب عليه محبتهما فالمحبة مرتبطة بالاعتقاد [٣] .

---

[١] صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب حب الرسول صلى الله عليه وسلم من الإيمان [١/٨٥] .

[٢] صحيح البخاري : كتاب الإيمان : باب من الإيمان أن يحب لأحيه ما يحب لنفسه [١/٥٧] .

[٣] أنظر الحب والبغض في ضوء القرآن والسنة : سليم الهلالي ص (٥) .

فهي إذاً كسبية ، ولذلك كان أحد الصحابة رضوان الله عليهم يقول أنه قبل أن يسلم كان رسول الله ﷺ أبغض الناس إليه فلما أسلم صار ﷺ أحب الناس إليه [١] .

٥- أن المحبة قد تتغير فتوجد وتزول لأسباب ظاهرة أو لإرادة قاهرة وهذا يشهد له الواقع فإن المحبة لها أسباب ظاهرة توجد أو تزول عند حصولها . فمثلاً شخص يحسن إليك فيميل قلبك إليه ، وشخص يسيء إليك فيبغضه قلبك ، وكمن يحب شخصاً ثم يتعرض لإيذائه فإنه يكرهه .

وكذلك قد تزول لإرادة قاهرة أو عزيمة قوية كمن يحب شرب الدخان ثم لما علم بتحريمه صار عنده عزيمة في تركه فأبغضه وابتعد عنه [٢] .

والإنسان الذي لا يعينه صديقه على الخير والحق لابد له من إرادة قوية حتى يتخلص من محبته .

ومما يدل على أن هذه المحبة كسبية اختلاف درجتها وقوتها وضعفها بحسب مراتبها وهذا يقود إلى معرفة مراتبها.

---

[١] هو عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وانظر حديثه في ذلك في صحيح مسلم كتاب الإيمان ، باب كون الإسلام يهدم ما قبله [١/١١٢] .

[٢] انظر شرح كتاب التوحيد للشيخ ابن عثيمين ص [٣٧٩-٣٨٠] .

مراتب المحبة

ذكر ابن القيم في كتابه مدارج السالكين [1] مراتب المحبة عموماً وهي عشرة وتفصيلاً كما يلي :

١- العلاقة : لتعلق القلب بالمحبوب .

٢- الإرادة : وهي ميل القلب إلى محبوبه وطلبه له .

٣- الصبابة : وهي انصباب القلب إليه بحيث لا يملكه صاحبه.

٤- الغرام : وهو الحب اللازم للقلب الذي لا يفارقه .

٥- الوداد : وهو صفو المحبة وخالصها ولبها .

٦- الشغف : وهو وصول المحبة إلى شغاف القلب بحيث يحجب القلب عن غيره .

٧- العشق : وهو الحب المفرط ، ولا يوصف به الرب سبحانه ولا العبد في محبته ربه واستعاذ منه ابن عباس رضي الله عنهما وقد حكاه القرآن عن المشركين ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (سورة الحجر : آية ٧٢) .

٨- التتيم : وهو التذلل والتعبد .

٩- التعبد : وهو فوق التتيم لأن العبد هو الذي ملك المحبوب رقه ذلاً وخضوعاً ، وصار كله عبداً لمحبوبه ظاهراً وباطناً ،

---

[1] [٢/٢٧-٣٢] بتصرف هنا .

وهو حقيقة العبودية ومن كمل ذلك قد كمل مرتبتها ، ولذلك وصف الله سبحانه وتعالى بها نبيه محمد ﷺ في أشرف مقاماته مقام الإسراء فقال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ ﴾ (الإسراء : ١) .

١٠- الخلة : وهي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب وهي مربتة انفرد بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلوات الله وسلامه عليهما كما صح عنه ﷺ أنه قال { إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً }

ويوصف الله تعالى بالإرادة ﴿ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ ﴾ (المائدة: ٦) .

الود ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴾ (البروج : ١٤).

والمحبة ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ (المائدة : ٥٤) .

الخلة حيثما ورد النص[1] ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴾ (النساء ١٢٥) .

وهذه المحبة أياً كانت مرتبتها فإنها تنقسم إلى أقسام ، عديدة بحسب نوعها ، وبحسب متعلقها ، وبحسب النفع والضر ، وهذه الأقسام هي التي جاءت النصوص الشرعية بتمييزها فمنها

---

(١) شرح العقيدة الواسطية : ٨٣ .

ما هو مطلوب شرعاً أو (محمود) ومنها ما هو منهي عنه شرعاً فهو [مذموم] .

وفيما يلي بيان هذه الأقسام إن شاء الله تعالى :

أقسام المحبة :

قسمت أنواع المحبة بحسب اعتبارات عدة ، يمكن إجمالها في اعتبارين رئيسين :

الأول : تقسيمها باعتبار طبيعة المحبة [محبة خاصة (محبة عبودية) ، محبة عامة (مشتركة)]

الثاني : تقسيمها باعتبار نظر الشرع لها وحكمه فيها (محمودة ومذمومة) .

أقسام المحبة باعتبار طبيعتها (من حيث العبودية وما دونها) تنقسم بهذا الاعتبار إلى قسمين رئيسين هما :

١-المحبة الخاصة: محبة العبودية :

وهي كمال الحب المستلزم لكمال الذل والخضوع مع كمال التعظيم [١] .

ويعبر عنها بالعبودية ، وقد سبق في مراتب المحبة أن أعلاها هو التعبد للمحبوب وقد جمع فيها بين ثلاثة أمور ، كمال

---

[١] شرح العقيدة الواسطية : ٨٣ .

الحب ، وكمال الذل والخضوع ، وكمال التعظيم (بحيث يقوم بقلب الإنسان من إجلال المحبوب وتعظيمه والذل له ما يقتضي امتثال أمره واجتناب نهيه) [١] .

لذلك فهي لا تصلح إلا لمحبوب واحد يحب لذاته من كل وجه (وليس شيء يحب لذاته من كل وجه إلا الله وحده الذي لا تصلح الألوهية إلا له سبحانه)[٢] .

فهو المستحق للعبادة لذاته لأنه سبحانه الذي تألهه القلوب وترغب إليه وتفزع إليه عند الشدائد وما سواه فهو مفتقر مقهور بالعبودية [٣] .

فهذه المحبة لا تصلح إلا لله ، إذ أن المرء قد يحب شخصاً ولا يذل له ، وقد يذل له لكن لا يحبه لكن التعبد لله يتحقق فيه كمال الذل والتعظيم والمحبة ، وهذا هو حقيقة العبودية ، ولذلك قال العلماء الإله والمألوه . وهو سبحانه تألهه القلوب محبة وتعظيماً [٤] .

---

(١) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين ص [٣٧٧] .

(٢) إغاثة اللهفان [١/١٣٥] الفوائد [١٨٢] .

(٣) مجموع الفتاوى [١/٨٨].

(٤) مجموع الفتاوى [١٨/٣١٩] . تيسير العزيز الحميد [٤٦٩] .

وقد جعل الله سبحانه وتعالى هذه المحبة الخاصة حقا لـــه لا يشركه فيه مخلوق[١] .

- وعبر في التعريف بكمال الحب لأن الله وحده هو الـــذي يحب لذاته فلا يوجد شيء آخر يحب لذاته وإنما يحب لغرض ما فإما أن تكون محبته تابعة لمحبة الله فهي صحيحـــة أو لا فـــهي باطلة[٢] .

- وعبر بكمال الذل لأنه لا يُذَلُّ لأحد تمام الذل وحقيقتـــه وكمال الخضوع طوعاً أو كرهاً إلا لله سبحانه وتعالى[٣] فالمحبة الخاصة هي توحيد الألوهية فلا يجوز تعلقها بغير الله أصلاً[٤] .

إذا فهذه المحبة ليست مجرد تعلق وارتياح بل عبادة ولذا فـــإن صرف أي صورة من صور هذه العبادة لغير الله شـــرك أكـــبر كمال قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنـــدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ فمتى أحب العبد بهذه المحبة غـــير الله أشرك شركاً لا يغفره الله ولا يقبل لصاحبه عملاً ، وكل مـــن

---

(١) مجموع الفتاوى [١١/١٩٨] .

(٢) الفوائد [١٨٢] .

(٣) العبودية [ضمن مجموعة التوحيد ص ٦٠٥] .

(٤) تيسير العزيز الحميد [٤٦٩] .

أحب شيئاً كحب الله فقد اتخذه نداً لله [١] ، ومحبته هذه باطلة شرعاً : للآية السابقة وعقلاً (لأن المحبوب لذاته لا يمكن إلا أن يكون واحداً ومستحيل أن يوجد في القلب محبوبان لذاتهما كما يستحيل أن يكون في الخارج ذاتان قائمتان بأنفسهما كل ذات منهما مستغنية عن الأخرى من جميع الوجوه فليس الذي يحب لذاته إلا الإله الحق الغني بذاته عن كل ما سواه ،ومن سواه فقير بذاته إليه)[٢] فلا يوجد من يستحق محبة العبودية إلا الله وحده لا شريك له.

٢- المحبة المشتركة : وهي عامة في أفراد جنس المتعلق وهي أربعة أنواع[٣]

١- **محبة طبيعية** : كمحبة سائر المحبوبات المادية من طعام وشراب ولباس ونحوه ومثل لها العلماء بمحبة الجائع للطعام ، ومحبة العطشان للماء .

٢- **محبة رحمة أو إشفاق** : كمحبة الوالد لولده .

---

[١] الفوائد [١٨٢] ، تيسير العزيز الحميد [٤٦٨] .

[٢] روضة المحبين [٢٩٢] .

[٣] انظر الكواكب الدراري [٩٩/١] عمدة القاري [٤٦/١] ، تيسير العزيز الحميد [٤٦٨] .

٣- **محبة إجلال واحترام** : كمحبة الولد لوالديه ، والتلميذ لمعلميه .

٤- **محبة المؤانسة** : كمحبة الصاحب ، ومحبة الأخوة ، ومحبة المشتركين في صناعة أو علم أو مرافق في سفر ونحوه .

وتتميز هذه الأنواع الأربعة بالأمور الآتية :

أ- أنها لا تستلزم كمال المحبة ولا التعظيم .

ب- أنها هي التي تصلح للخلق بعضهم مع بعض بخلاف الأولى فلا تصلح إلا للخالق .

ج – كلها في ظاهرها مباحة لأن الحياة تقوم عليها لكن شرطها أن لا تزاحم محبة الله عز وجل ولا تشغل عن طاعته.

وقد كان ﷺ يحب الحلواء والعسل ، وكان ﷺ يحب نساءه، وأحبهن إليه عائشة ، وكان ﷺ يحب أصحابه وأحبهم إليه أبوبكر رضي الله عنهم أجمعين [1] .

د – يمكن أن ينتقل حكمها من الإباحة إلى العبادة المشروعة فتكون محمودة وهكذا كانت محبته ﷺ فيما يحب فإنما يحبه لله تعالى .

---

[1] انظر تيسير العزيز الحميد [٤٦٨] .

وقد تنتقل إلى مزاحمة محبة الله فتكون مذمومة كما سيتبين من التقسيم الآتي إن شاء الله تعالى .

الثاني : أقسام المحبة باعتبار نظر الشرع لها وحكمه فيها .

تقسم بهذا الاعتبار إلى محمودة (نافعة) ،ومذمومة (ضارة) :

١- **المحبة المحمودة (النافعة) :** وهي التي تجلب لصاحبها ما ينفعه من السعادة والنعيم[١]

المراد بها: المحبة التي أمر الله تعالى ورسوله بها ، وكل محبة تابعة لها ويكون فيها المحبوب المراد في الأصل هو الله وحده وهي على ثلاثة أنواع[٢] .

أ – محبة الله تعالى :

وهي أصل المحبة المحمودة التي أمر الله تعالى بها ورسوله ﷺ، وخلق الخلق لأجلها وهي اصل المحاب المحمودة واصل الإيمان والتوحيد والنوعان الآتيان تبع لها.

---

[١] إغاثة اللهفان [١٣٦/٢] .

[٢] انظر مجموع الأنواع في إغاثة اللهفان [١٣٣/٢،١٤٠] .

ب – المحبة في الله ولله :

أي المحبة التابعة لمحبة الله وتشمل محبة كل ما يحبه الله ويرضاه من المخلوقات ومن الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة . (وهي محبة خاضعة لمحبة الله لأنها لأجل الله وفي الله تعالى)[١] .

وهذا النوع من تمام محبة الله وموجباتها [٢] ، ومثالها : محبة الرسول ﷺ والملائكة والأنبياء والمؤمنين والدين والذكر وسائر العبادات .

ج ـ محبة ما يعين على طاعته ،واجتناب معاصيه من الأمور المباحة ، وهذا النوع والنوع السابق له أيضا يتعدد ولا تكون محبة العبد له شاغلة عن محبة ربه ولا يشركه معه في الحب بل إنها تعين العبد على محبة الله تعالى فهي من أسباب قوة محبة الله تعالى ولذا فهي محمودة مطلوبة شرعاً .

فقد كان ﷺ يحب زوجاته ﷺ ، ويحب أصحابه ، وكان ﷺ يحب الشراب البارد الحلو ويحب الحلواء والعسل والخيل ، ومع هذا فإن حبه كله لله ، وقوى حبه جميعها منصرفة إليه تعالى وإلى طاعته ، فهذه المحبة لا تزاحم محبة الله بل قد تجمع الهم

---

[١] أنظر إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد [١٤٢] .

[٢] روضة المحبين [٢٩٢] .

والقلب على التفرغ لمحبة الله . ومحبة المباحات عموماً ، محبة طبيعية تتبع نية صاحبها وقصده بفعل ما يحبه فإذا نوى به القوة على أمر الله سبحانه وطاعته كانت قربة ، وإن فعل ذلك بحكم الطبع والميل المجرد لم يثب و لم يعاقب وإن فاته درجة من فعله متقربا به إلى الله تعالى [١]

فمحبة الزوجة مثلا معينة على طاعة الله سبحانه فيما شرع من إعفاف الرجل نفسه وأهله فلا تطمح نفسه إلى سواها من الحرام ويعفها فلا تطمح نفسها إلى غيره وكلما كانت المحبة بين الزوجين أتم وأقوى كان هذا المقصود أتم وأكمل ، فلا عيب فيها إلا إذا شغله ذلك أو شغلها عن محبة الله ورسوله وطاعتهما أو زاحم حب الله ورسوله فتكون حينئذ مذمومة[٢].

٢-المحبة المذمومة [الضارة]

وهي التي تجلب لصاحبها ما يضره من الشقاء والألم والعناء والمراد بها أن يكون محبوب الإنسان ومراده ونهاية مطلوبه غير الله وتشمل كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله ﷺ بحيث تضعفها أو تنقصها [٣] .

---

[١] أنظر إغاثة اللهفان [١/١٤٠] بتصرف يسير .

[٢] إغاثة اللهفان [٢/١٣٩-١٤٠] بتصرف يسير .

[٣] إغاثة اللهفان [٢/١٣٦,١٤٠] .

وهي ثلاثة أنواع :

أ- المحبة مع الله [المحبة الشركية]

وهي أصل الشرك ، وأصل جميع الفواحش ، والمحبه المذمومة والنوعان الآتيان تبع لها [١] .

والمراد بها أن تساوي محبة غير الله محبة الله تعالى [٢] كمحبة الأنداد كما قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴾ .

قال ابن القيم في الجواب الكافي [٣] (فأخبر سبحانه أن من الناس من يشرك به نداً يحبه كما يحب الله ، وأخبر أن الذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم .

وقيل المعنى أنهم [أي المؤمنون] أشد حباً لله، فإنهم [أي أصحاب الأنداد] وإن أحبوا الله، ولكن لما أشركوا بينه وبين أندادهم في المحبة ضعفت محبتهم لله، والموحدون له لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبة أولئك) والمحبة الشركية من أظلم الظلم لأنها وضع لمحبة العبودية في غير موضعها وتشريك بين الله

---

[١] نفس المصدر [٢/١٤١] .

[٢] إفادة المستفيد [١٤١] .

[٣] بتحقيق سعيد محمد اللحام (ص ٢٧٩).

وغيره فيها [١] ، سواء كان هذا الغير بشراً أو غير ذلك .
وتلحق بها كل محبة زاحمت محبة الله ورسوله بحيث تضعفها أو تنقصها [٢].

وهذا النوع شرك في المحبة الخاصة التي تقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً ، وهو شرك لا يغفره الله ولا يقبل معه عمل [٣] .

ب – محبة ما يبغضه الله ورسوله ﷺ كمحبة الكافرين والعياذ بالله ، ومحبة الباطل وأهله ، وبغض الحق وأهله وهما صفة المنافقين [٤] .

فإن أحبهم لأجل دينهم فهو مثلهم ، ومن أحب قوماً حشر معهم ، وقد نفى الله تعالى الإيمان عمن يحب الكافرين فقال تعالى : ﴿ *لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ* ﴾ (المجادلة ٢٢) .

---

[١] روضة المحبين [٢٩٢] .

[٢] إغاثة اللهفان [١/١٤٠] .

[٣] روضة المحبين [٢٩٢] .

[٤] أنواع التوحيد ضمن مجموعة التوحيد النجدية [ص ٢٦].

فنفى سبحانه وتعالى الإيمان عمن كان هذا شأنه ولو كانت مودته ومحبته لأمه أو أبيه فضلاً عن غيرهم .

فمن تولى الكفر والكافرين أو أحبهم ووادهم فهو منهم [١] بل من سمع الكافرين يستهزئون بشيء من دين الله وآياته فجلس عندهم من غير إكراهٍ ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم لأن ذلك يتضمن الرضى بالكفر والرضى بالكفر كفر [٢] كما قال تعالى : ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴾ (النساء ١٤٠) .

ويدخل في هذا النوع محبة المعاصي ، وتكون بقدر خلو القلب من محبة الله ورسوله ﷺ

جـ – محبة ما تقطع محبته عن محبة الله :

وهي محبة المحبوبات لغير الله ، ولو كانت محبة مباحة في أصلها لكن اتخذت لغير الله فيدخل فيها كل محبة مباحة تشغل عن

---

[١] أوثق عرى الإيمان للشيخ محمد عبد الوهاب ضمن مجموعة التوحيد ص [١٦٢,١٧٠,١٧٦] .

[٢] المرجع نفسه الرسالة الأولى [ص ٦٨].

محبة الله أو تنقص من محبة الله أو تضعفها وهذا النوع قد يصل إلى الشرك والعياذ بالله ، ولذا نرى الشارع قد أثبت فيها اسم التعبد .

فقال ﷺ {تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد القطيفة ، تعس عبد الخميصه ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش إن أعطى رضي وإن منع سخط} ، (رواه البخاري) [١] وسموا عبيدا لها لانتهاء محبتهم ورضاهم إليها] [٢] قال ابن حجر في الفتح [٣] {عبد الدينار أي طالبه الحريص على جمعه القائم على حفظه فكأنه لذلك خادمه وعبده} وعزا للطيبي قوله : إن المراد الإشارة إلى انغماسه في محبة الدنيا وشهواتها كالأسير الذي لا يجد خلاصا.

ومن أبرز أمثلتها :

- محبة الصور المحرمة - محبة المرء لغير الله

(فمحبة الصور المحرمة وعشقها من موجبات الشرك ، وكلما كان العبد أقرب إلى الشرك وأبعد من الإخلاص كلما

---

[١] الحديث في البخاري كتاب الجهاد باب الحراسة في الغزو في سبيل الله [٨١/٦] بلفظ فيه اختلاف يسير .

[٢] إغاثة اللهفان [٤٩/١] .

[٣] [٢٥٤/١١]

كانت محبته بعشق الصور أشد ، وكلما كان أكثر إخلاصا وأشد توحيدا كلما كان أبعد من عشق الصور) ، (ذلك لأنه قد يقترن بعشق الصور ما يوجب اشتغال القلب بالمعشوق وتألهه له وتعظيمه والخضوع له وتقديم طاعته على طاعة الله ورسوله ﷺ فيكون عبدا له يوالي فيه ويعادي فيه ويحب ما يحب ويكره ما يكره .

فإذا شغف الإنسان بمحبة صورة لغير الله بحيث يرضيه وصوله إليها وظفره بها ، ويسخطه فوات ذلك كان فيه من التعبد لها بقدر ذلك [1] .

ولفهم هذا التقرير الدقيق يلاحظ الشرط المذكور وهو أن تكون هذه المحبة لغير الله ، وأن يشغف القلب بها .

- ومحبة المرء لغير الله منقصة لمحبة الله مضعفة لها إذ أصل الغواية هي من المحبة لغير الله حيث يضعف الإخلاص بها ويقوى الشرك بقوتها .

لم كانت محبة المرء لغير الله سببا للشرك ؟

قال بعض العلماء ليس هناك شيء من المحبوبات يستوعب محبة القلب إلا محبة الله أو محبة بشر مثلك .

---

[1] أنظر إغاثة اللهفان [٢/١٤١,١٤٩] .

أما محبة الله فهي التي خلق لها العباد ، وبها غاية سعادتهم وكمال نعيمهم وأما البشر المماثل من ذكر وأنثي فإن فيه من المشابهة والمناسبة بين العاشق وبين ما لا يكون بينه وبين جنس آخر من المخلوقات .

ولهذا لا يعرف في محبة شيء من المحبوبات غيره ما يزيل العقل ويفسد الإدراك ، وإنما يقع هذا خاصة في محبته لأحد من جنسه [من البشر] فتستوعب قلبه وتسلب لبه ويصير لمعشوقه سامعا مطيعا .

ويزيد هذا السمع والطاعة عند كثير من العشاق حتى يبذل نفسه ويعرضها للتلف في طاعة معشوقه كما يبذل المجاهد نفسه لربه حتى يقتل في سبيله [١] .

وقد قال ﷺ [مدمن الخمر : إن مات لقي الله كعابد وثن] [٢] فشبهه بالعابد لأن نفسه تأله ما يحبه ، وتخضع له والتأله لغير الله هو الشرك .

---

[١] إغاثة اللهفان [١٥٢/٢] بتصرف يسير .

[٢] مسند الإمام أحمد [٢٧٢/١] عن ابن عباس ، وقد صحح الألباني لفظه عن أبي هريرة مرفوعا [مدمن الخمر كعابد وثن] انظر : صحيح ابن ماجة [٢٤١/٢] صحيح الجامع [٥٨٦١] .

سبب وجود المحبة لغير الله في القلب :

سبب وجودها في القلب هو خلو القلب من محبة الله تعالى والإخلاص له [١] أو ضعفهما فبقدر خلو القلب من محبة الله وتعظيمه تقوم بالقلب المحبة لغير الله ، وتعمل بموجبها الجوارح، ذلك أنه [لما كان من طبع النفس الملازم لها وجود الإرادة والعمل (المحبة) فإن عرفت الحق وأدواته وأحببته وعبدته فذلك من تمام إنعام الله عليها ، وإلا فهي بطبعها لابد لها من مراد معبود غير الله ومرادات سيئة تضرها .. وهذا هو الشر الذي تعذب عليه وهو من مقتضى طبعها مع عدم هداها] [٢] .

فالعبد مجبول على أن يقصد شيئاً مراداً يحبه ويعمل له ، ولابد للنفس من شيء تطمئن إليه وتنتهي إليه محبتها فيكون إلهها ، ولابد لها من شيء تثق به وتعتمد عليه في نيل مطلوبها سواء كان ذلك هو الله أو غيره كمن اطمأن إلى شخص أو مال وغلب عليه حبه حتى صار عبداً له[٣] وإنما يخلو القلب من محبة الله وتنقص محبته باشتغاله بغير الله وانصرافه إلى ما يزينه له

---

[١] إغاثة اللهفان [١٥٢/٢] .

[٢] مجموع الفتاوى [٢٩٨/١٤] .

[٣] مجموع الفتاوى [٣٥/١] [٢١٦/١٠] .

هواه ، والوثوق به ، فإذا اشتغل به وصرف همه إليه تمكنت منه محبته ورسخت فيه وسيطرت على تفكيره وسلبت لبه فأزيحت محبة الله من قلبه بذلك .

فاشتغال القلب بغير الله ، لا لأجل الله سبب لخلوه من محبة الله أو نقصها وهذا يؤدي إلى تمكن المحبة لغير الله ، ومن ثم تتدرج في مراتب المحبة حتى تصل إلى العشق والتعبد وهو الشرك والعياذ بالله .

كيف يدفع المؤمن عن نفسه آفة المحبة لغير الله ؟

قد يعرض الشيطان للمؤمن بهذه الآفة إلا أنه كما ذكر ابن القيم في كتابه النفيس إغاثة اللهفان [1] ما من مؤمن إلا وفي قلبه محبة لله تعالى ، وطمأنينة بذكره ، وتنعم بمعرفته ولذة وسرور بذكره ، وشوق إلى لقائه ، وأنس بقربه ، وإن لم يحس به لاشتغال قلبه بغيره ، وانصرافه إلى ما هو مشغول به ، فوجود الشيء غير الإحساس والشعور به ، وقوة ذلك وضعفه وزيادته ونقصانه هو بحسب قوة الإيمان وضعفه وزيادته ونقصانه .

---

[1] إغاثة اللهفان [٢/١٩٨-١٩٩] بتصرف .

ومتى لم يكن الله وحده غاية مراد العبد ومحبوبه المقصود لذاته بحيث يكون كل ما يحبه ويطلبه سواه إنما يحبه لأجله متى لم يتحقق هذا لم يكن العبد محققاً شهادة أن لا إله إلا الله ، وكان فيه من النقص والشرك بقدر ما نقص من محبته لله ، وبقدر ما أحب شيئاً لغيره كان له من موجبات ذلك من الألم والحسرة والعذاب بحسب ما فاته من محبة الله .

ذلك لأن العبد في حال معصيته واشتغاله عن ربه بشهوته ولذته تكون الحلاوة الإيمانية ولذة محبة الله قد نقصت أو ذهبت عنه إذ لو كانت موجودة كاملة لما قدم عليها لذة أو شهوة أخرى هي أدني من بعرة بالنسبة إلى الجوهر النفيس الغالي .

وإذا علم كيف تتسلل هذه الآفة إلى قلب المؤمن فإن دفعها ووسائل علاجها يتوقف على أمرين في غاية الأهمية هما:

الأمر الأول :

صدق الالتجاء إلى الله والتضرع إليه أن يطهر القلب من لوثة المحبة لغير الله فإن العبد لو سعى في هذا المطلوب بكل طريق ، وطرق كل باب إذا لم يكن مستعيناً بالله متوكلاً عليه مفتقراً إليه في حصوله متيقناً أنه لا يحصل إلا بتوفيقه ومشيئته وعونه ، وأنه لا طريق له سوى ذلك بحال من الأحوال فإنه

لايحصل مطلوبه لأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن فلا يرشد إلى الحق سواه . ولا يعبد إلا بإعانته ، ولا يطاع إلا بمشيئته تعالى [1] كما قال عز وجل ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ (التكوير:٢٨:٢٩).

ولا يخفى أن علامة الصدق في هذا الالتجاء والتضرع هو دوام الانكسار بين يدي الله ، والإلحاح ، والتزام عتبة الذل بين يديه وتفويض الأمر له تعالى وقد أرشد ابن تيمية – رحمه الله – إلى الخطوات العملية في ذلك بأنه :

من ابتلي ببلاء قلبي أزعجه ، فأعظم دواء له قوة الالتجاء إلى الله ، ودوام التضرع والدعاء بأن يتعلم الأدعية المأثورة ، ويتوخى الدعاء في مظان الإجابة ، ويضم إلى ذلك الاستغفار ، وليتخذ ورداً من الأذكار طرفي النهار وعند النوم وليصبر على ما يعرض له من الموانع والصوارف فإنه لابد أن يؤيده الله بنصر من عنده ويكتب له الإيمان في قلبه.

وليحرص على إكمال الفرائض الخمس بباطنه وظاهره ، وليكن هجيراه [أي دأبه وديدنه] {لا حول ولا قوة إلا بالله

---

[1] إغاثة اللهفان [٢/١٩٨-١٩٩] .

العلي العظيم} فإنه بها يحمل الأثقال ، ويكابد الأهـــوال ، ولا يسأم من الدعاء والطلب ، وليعلم أن النصر مع الصـــبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً[١]

الأمر الثاني :

المجاهدة [٢]

وهي بذل غاية الجهد النفسي في سبيل تنقية القلب من هـــذه الآفة .

وتكون المجاهدة في اتجاهين :

الأول : المجاهدة في دفع وساوس الشيطان وخطرات النفـــس المتعلقة بهذا الأمر ويعين على هذه المجاهدة إدراك الأمور الأربعة الآتية :

أ – أن يدرك خطر هذه الآفة على دينه وأنها تقدح في التوحيـد وتؤدي إلى التلبس بشعبة من الشرك الأكبر المحبط للعمل كلـــه والعياذ بالله ، فلا يقبل معه عمل لأن من جعل لله نـــداً يحبـــه كحب الله فهو ممن دعا مع الله إلهاً آخر [٣] .

ب – أن يدرك عظيم الاثم المترتب عليها في الآخرة .

---

[١] مجموع الفتاوى [١٣٦-١٣٧] .

[٢] ذكر ابن تيمية تسعة أوجه نفيسة في هذا الباب في الفتاوى [١/٢٥-٣٢] .

[٣] مجموع الفتاوى [١٧/١٤٥] .

قال تعالى متوعداً من وقع في شرك المحبة ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴾ (البقرة ١٦٥).

وأنهم يتبرأون من بعضهم في النار في الآخرة كما قال تعالى : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴾(البقرة ١٦٦-١٦٧) ،وكما قال تعالى ﴿ الأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزخرف ٦٧) .

جـ- أن يدرك أن تعلق العبد بما سوى الله مضرة عليه إذا أخذ منه القدر الزائد عن حاجته في عبادة الله كما إذا أخذ من الطعام والشراب فوق حاجته خبره وأهلكه وإن أحب شيئاً حباً تاماً بحيث يخاف لله فلابد أن يسأمه أو يفارقه وفي الأثر إحبب ما شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه [1] .

---

[1] مجموع الفتاوى [٢٨/١] .

د- أن يعلم أن كل من أحب شيئا لغير الله فلابد أن يضره محبوبه ، ويكون ذلك سببا لعذابه سواء وجد أو فقد فإن فقد عذب بالفراق وتألم [١] ، وأما إن وجد فمحبة المخلوق إذا لم تكن لله فهي عذاب للمحب ووبال عليه وما يحصل له بها من التألم أكثر وأعظم مما يحصل له بها من اللذة ، وهو إن اعتمد عليه ورجاه فإنه لا شك يخذل من جهته لأنه ما علق العبد رجاءه وتوكله بغير الله إلا خاب وخذل من تلك الجهة ، وكلما كانت هذه المحبة أبعد عن الله كان ألمها وعذابها أعظم ، هذا بالإضافة إلى ما في محبة المخلوق من الإعراض عنك والتجني عليك ، وعدم الوفاء لك إما لمزاحمة غيرك من المحبين وإما لكراهته لك وإما لاشتغاله عنك بمصالحه وما هو أحب إليه منك وإما لغير ذلك من الآفات، وأما محبة الله سبحانه فشأنها غير هذا الشأن فإنه لا شيء أحب إلى القلوب من خالقها وفاطرها ولا نعيم ألذ وأطيب من نعيم محبته تعالى [٢] .

هـ – أن يدرك نقائص المخلوقين وعيوبهم وفقرهم للخالق، وأنهم إنما يسعون لمنفعتهم وحظوظ أنفسهم .

---

[١] مجموع الفتاوي [٢٩/١] .

[٢] إغاثة اللهفان [١٩٦/٢-١٩٧] . بتصرف ، مجموع الفتاوى [٢٩/١] .

الثاني :

المجاهدة في سبيل تحصيل محبة الله ورسوله ﷺ في القلب :

وسيأتي إن شاء الله بيان معنى هذه المحبة في الخصلة الأولى ، وكذلك تقوية أسباب تحصيلها ويعين على هذه المجاهدة إدراك الأمور الآتية :

١- أن قوة محبة القلب لله تدرأ عنه التعلق بغيره وتحميه من التأثر بأسباب هذه الآفة فلا يلتفت إلى ما يشغل قلبه عن محبة الله ، وكلما تمكنت محبة الله من القلب وقويت فيه أخرجت كل محبة أو عبودية أو تأله لسواه، ولهذا تجد العبد إذا كان مخلصاً لله ، منيباً إليه مطمئناً بذكره تجده منصرفاً عن المحرمات[1] ، وموجهاً كل إرادته ، ومحبوباته إلى مقصد واحد هو رضا الله وعبادته ، فإخلاص العبادة لله يمحو عبادة ما سواه، ويصرف عنه ما يضاد عبودية الله [2] .

٢- أن حلاوة محبة الله ولذة النعيم بها فوق كل حلاوة ، وأكمل من كل لذة وأتم من كل نعيم وليس فيها ما يكدر الصفو بل سعادة دائمة متصلة لأن العبد لابد له من إله في كل حال ووقت ، لو حصل للعبد لذات أو سرور بغير الله

---

(١) المرجع السابق نفسه [١٩٩/٢] بتصرف .

(٢) العبودية لابن تيمية [ضمن مجموعة التوحيد ص ٦٢٣] .

فلا يدوم ذلك بل ينتقل من نوع إلى نوع و من شخص إلى شخص وقد يلتذ بهذا النعيم في أحوال وقد يؤذيه ويضره في أحوال أخرى [١] .

٣- إن القلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا يبتهج ولا يطمئن ولا يسكن إلا بعبادة ربه وحبه والإنابة إليه ، ولو حصل له جميع ما يلتذ به من المخلوقات لم يطمئن إليها و لم يسكن إليها بل لا تزيده إلا فاقة وقلقاً حتى يظفر بما خلق له وجبل عليه من كون الله تعالى وحده نهاية مراده وغاية مطالبه فإن فيه فقراً ذاتياً إلى الله تعالى من حيث هو معبوده ومحبوبه ومطلوبه الأول [٢] ونفس عبادته والإيمان به ومحبته وإجلاله هو غذاء الإنسان وقوته وصلاحه [٣] .

٤- الاشتغال بمعالي الأمور وأهمها تحصيل محبة الله ورسوله وإصلاح القلب ومراقبة الحي القيوم في توجيه الإرادات والنيات ، والسعي في البعد عن موجبات سخط الله وعذابه

---

[١] مجموع الفتاوى [٢٤/١] .

[٢] إغاثة اللهفان [١٩٨/٢] مجموع الفتاوى [١٩٤/١٠] .

[٣] الفتاوى [٢٥/١] .

وناره ، وفي نيل الحسنات التي بها الفوز بالدرجات العلا من الجنة ، والتفكر في هادم اللذات والمصير الذي لابد آت .

وهذه كلها ذلك وسائل في غاية الأهمية لتفريغ القلب من الاشتغال بمحبة غير الله لغير الله . والله تعالى أعلم .

الخصلة الأولى

{أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما}

تتضمن هذه الخصلة أول شرط لنيل ثمرة الإيمان وحلاوته وهو: تقديم محبة الله ورسوله على محبة كل ما سواهما [١] بحيث تكون محبة الله ورسوله ﷺ آخذة بأقطار النفس وزمام القلب وتكون كل محبة سواها تبعاً لها تدور في فلكها وفي هذا التعبير من أوجه البلاغة أمران :

١- أن التعبير [بما] دون [من] في [مما سواهما] مقصود ليعم ويشمل كل شيء سوى الله ورسوله ﷺ فيدخل فيها العاقل وغير العاقل من مال أو جاه أو شهوة أو لذة [٢] .

وهو تعبير دقيق يلفت النظر إلى ضبط كل مشاعر الميل والمحبة في حياة الإنسان سواء كانت موجهة إلى أشخاص أو إلى أشياء بحيث لا تتجاوز قدرها المشروع وهو ألا تساوي

---

[١] عشرون حديثا من صحيح البخاري [١٦٨] .

[٢] تحفة الأحوذي [٣٧٢/٧] .

فضلا عن أن تتجاوز محبة الله ورسوله ، فمحبة الله ورسوله ﷺ هي الميزان الذي يقيس عليه المسلم سائر مشاعره الأخرى. ويؤخذ هذا من قوله { أحب إليه} .

فشرط العبودية التي بها تنال حلاوة الإيمان هو ألا يساوي منسوب أي محبة أخرى ولا يرتفع عن منسوب محبة الله ورسوله في قلب العبد ويؤكد هذا التعبير قوله تعالى ﴿ *قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ* ﴾ (التوبة :٢٤) .

هذا فيما إذا زادت محبة هذه الأشياء على محبته تعالى ورسوله وقوله تعالى :﴿ *وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ* ﴾ وهذا فيما إذا ساوت محبة ما سوى الله محبة الله .

٢- أن التعبير بضمير التثنية في قوله [سواهما] وهو عائد إلى الله ورسوله يفيد أن المراد أن المحبة المطلوبة والمعتبرة هي المجموع المركب من محبة الله تعالى ومحبة رسوله ﷺ وليس كل محبة منهما منفردة عن الأخرى لأن من ادعى حب الله مثلاً ولا

يحب رسوله ﷺ فإن ذلك لا ينفعه وتعتبر محبته تلك لاغية[١] بدليل قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (آل عمران : ٢١) .

إشكال ورده :

ورد هنا إشكال وهو إنكاره ﷺ على خطيب سمعه يقول في خطبته { ومن يعصهما } [أي الله ورسوله] فقد غوى ، فأنكر عليه أن يجمعهما في ضمير التثنية وأمره بأن يقول { ومن يعص الله ورسوله }

فكيف يدفع هذا الإشكال ؟

وقد أجاب العلماء بعدة أجوبة :

الأول وهو : أرجحها وأقواها أنه ﷺ أمر الخطيب – لما ذكر العصيان – بإفراد كلٍ منها لأن كلا من عصيانه سبحانه وتعالى أو عصيان نبيه منفرداً يستلزم الغواية ولا يشترط للغواية عصياهما معاً.[٢]

بينما يشترط للإيمان الصادق تقديم مجموع محبتهما على محبة ما سواهما كما سبق إيضاحه ولأن محبة أحدهما منفرداً بدون محبة الآخر لاغية ولا تنفع صاحبها .

---

[١] فتح الباري [٦٢/١] ، وعشرون حديثاً [١٦٦] .

[٢] انظر هذا المعنى في فتح الباري [٦٢/١] .

الثاني : أن قوله ﷺ هذا بيان لجواز التثنية في حال الإيجاز ، وحمل نهيه ﷺ للخطيب عن ذلك على أن الخطبة مقام تفصيل والمراد فيها الإيضاح [١] ولذا نهاه أن يجمع بينهما في ضمير التثنية .

الثالث : أن إنكاره ﷺ على الخطيب كان واقعة عين [أي مخصوصة بتلك الحادثة] لأنه يحتمل أن يكون في ذلك المجلس من يخشى عليه توهم المساواة بين الله سبحانه ورسوله ﷺ [٢].

الرابع : أن النهي محمول على الإرشاد إلى رعاية الأدب والاحترام في الألفاظ وإعطاء كل ذي حق حقه في الخطاب ، وغير لائق أن يعدل عن ذكر الاسمين الكريمين إلى ضمير التثنية، وقوله ﷺ في هذا الحديث لبيان الإباحة والجواز [٣] .

فالراجح هو الأول فيبقى المنع في حال الإشارة إلى العصيان والجواز في غيره والله تعالى أعلم .

وتتضمن هذه الخصلة أمرين هما : محبة الله ، ومحبة رسول الله ﷺ .

---

[١] المرجع نفسه [٦١/١] .

[٢] فتح الباري [٦٢/١] .

[٣] فتح الملهم [١١٠/١] .

محبة الله تعالى :

(المراد بها) ... والمراد بها المحبة الخاصة المستلزمة لكمال الذل والخضوع وكمال التعظيم وسبق تقرير أنها الحق الخاص الذي جعله تعالى حقاً له وحده لا يشركه فيه مخلوق وأنها لا تصح شرعاً ولا تصلح عقلاً – إلا لله وحده (حكمها) محبة الله تعالى فريضة على كل إنسان بعينه وهي أصل دين الإسلام الذي يدور عليه قطب رحاه فبكاملها يكمل وبنقصانها ينقص[1] وذلك لأنها هي حقيقة {لا اله إلا الله } وهي نفي أي مستحق للألوهية – التي هي :التعبد بالمحبة والذل والتعظيم – سوى الله وحده ،وسبق تقرير أن الإنس والجن جميعهم إنما خلقوا لأجل القيام بها .

وهى أصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها وكل محبة محمودة شرعا فهي تبع لها [ومدار الكتب المنزلة من أولها إلى آخرها على الأمر بهذه المحبة ولوازمها والنهى عن محبة ما يضادها ، وضرب الأمثال والمقاييس لأهل المحبتين وذكر قصصهم ومالهم ومنازلهم وثوابهم وعقابهم] [2] .

---

[1] تيسير العزيز الحميد (٤٦٦) .

[2] إغاثة اللهفان [١٣٣/٢] .

معناها :

ومعناها أن يحب العبد الله سبحانه محبة حقيقة قلبية تستوعب كل قلبه وتملأ عقله ووجدانه بحيث [يميل بكليته إلى الله وحده حتى يكون وحده محبوبه ومعبوده وإنما يحب من سواه تبعا لمحبته ، كما يحب الأنبياء والمرسلين والملائكة والصالحين لما كان يحبهم ربه سبحانه] [١] .

وبرهان المحبة القلبية (أن يكون العبد واثقاً به سبحانه مطمئناً إليه راضياً بحسن تدبيره له غير متهم له في حال من الأحوال ويتصل فقره وفاقته به سبحانه ويتصل خوفه ورجاؤه وفرحه وسروره وابتهاجه به وحده ،فلا يخاف غيره ولا يرجوه ولا يفرح به كل الفرح ولا يسر به كل السرور وإن ناله بالمخلوق بعض الفرح والسرور فليس الفرح التام والسرور الكامل والابتهاج والنعيم وقرة العين وسكون القلب إلا به سبحانه، وما سواه إن أعان على هذا المطلوب فرح به وسر وإن أعاقه استوحش منه واضطرب وحزن، فلا فرحه ولا سروره إلا به أو بما أوصل إليه وأعان على مرضاته، فهو يستشعر كل حين قوله تعالى: ﴿ وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ﴾ (النحل ٥٣)[٢] .

---

[١] المرجع نفسه [٤٧٦] .

[٢] الفوائد [٢٠٣] .

وذلك الحب القلبي الكامل يوجب للعبد التوجه الكامل بكليته إلى الله وحده والتسليم له ، فكل شيء في حياته مرتبط بمحبة الله تعالى فلا يحب إلا ما يحبه الله ويكره ما يكرهه ، ويؤثر مرضاته على ما سواه ويخضع ويعَبد جميع إرادته وجوارحه للسعي فيما يرضيه ما استطاع وتجنب ما يكره [١] فتنتظم جميع مشاعره من خشية ورجاء وحب وبغض ، وجميع أفعاله عطاءً ومنعاً ، وإقدماً وإحجاماً بما يحب الله ويرضى منه ، وهذا كمال المحبة وكمال الإيمان .

[وكلما كان عمل القلب حباً وبغضاً وعمل الجوارح عطاءً ومنعاً لله وحده كان صاحبه مستكمل الإيمان وما نقص منها فكان لغير الله نقص من إيمانه بحسبه] [٢] لقوله ﷺ : **{ من أحب لله وأبغض لله وأعطى لله ومنع لله فقد استكمل الإيمان}** [٣] .

---

[١] إغاثة اللهفان [٢/١٢٤] .

[٢] المرجع نفسه .

(٢)(٣)لأخرجه أبو داود في كتاب السنة باب [الدليل على زيادة الإيمان ونقصه رقم ٤٦٨١] والترمذي كتاب القيامة باب [٢٥٢١] [٤/٦٧٠] وقال : حديث حسن وصححه الألباني في الصحيحة [٣٨٠] .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية [١] أنه ورد في الإنجيل : { أعظم وصايا المسيح : أن تحب الله بكل قلبك وعقلك ونفسك } ، لأن مقتضى لا إله إلا الله أن تخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه ، وعن سؤال ما سواه بسؤاله ، وعن العمل لما سواه بالعمل له ، وعن الاستعانة بما سواه بالإستعانة به [٢] ، وهذه محبة خاصة لا يستحقها سواه تعالى ، ولهذا جاءت في الشرع مذكورة بما يختص به سبحانه من العبادة والإنابة إليه والتبتل له ، ونحو ذلك فكل هذه الأسماء تتضمن محبة الله سبحانه وتعالى [٣] .

والمحبة الحقيقة لله لا تنفك عن الخوف والرجاء [٤] فإن المحب راج وطامع فيما يحبه ، وفي رضاه خائف من سخطه وغضبه ، فار مما يبغضه ويكرهه محبوبه .

وهكذا فلا تكون محبة العبد لربه صادقة حتى يتعلق قلبه رجاء في رضا الله ، وخوفا مما يسخطه كما قال تعالى :

---

[١] مجموع الفتاوى [١٠/٢١١] :

[٢] مجموع الفتاوى [١٨/٣١٩] .

[٣] المصدر السابق [١٠/٥٧] .

[٤] لمجموع الفتاوى [١٠/٦١] .

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾(سورة الإسراء:٥٧).

ورحمته : اسم جامع لكل خير ، ودار الرحمة الخالصة هي الجنة وهي الدار الجامعة لكل نعمة وأعلى ما فيها النظر إلى وجه الله .

وعذابه: اسم جامع لكل شر ، ودار العذاب الخالص هي النار [١] ويدخل في الشر كل الأعمال التي يبغضها الله، وينهي عنها ، (فمن عبد الله بالحب والخوف والرجاء فهو المؤمن الموحد) [٢] .

وكمال محبة الله التي عليها الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم من الشهداء والصالحين أن لا يكون العبد ملتفتاً إلى غير الله ... لا حباً له ولا خوفاً منه ولا رجاءً له بل يكون القلب فارغاً من المخلوقات خالياً منها لا ينظر إليها إلا بنور الله فبالحق يسمع وبالحق يبصر وبالحق يبطش وبالحق يمشي فيحب منها ما يحبه الله وببغض ما يبغض الله ويوالي ما والاه الله ويعادي منها ما

---

[١] مجموع الفتاوى [١٠/٦٢,٦٣] بتصرف .

[٢] المرجع نفسه [١٠/٨١] .

عاداه ويخاف الله فيها ولا يخافها في الله ويرجو الله فيها ولا يرجوها في الله[١] .

إذا تقرر هذا فليعلم أنه قد غلط في فهم محبة الله أقوام وزلت أقدامهم فضلوا عن الحق في هذه المسألة والعياذ بالله، وكانوا على طرفي نقيض فهم قسمان :

القسم الأول :

فسروا الحب هنا بأنه الحب العقلي وهو إيثار ما يقتضي العقل السليم صلاحه ولو كان خلاف هوى النفس[٢] وقالوا إن محبة الله هي محبة طاعته وعبادته ، وهم ينكرون حقيقة المحبة لله ، ومنهم من ينكر التلذذ بالنظر إلى وجهه الكريم في الجنة .

كما يفسرون محبة الله لعباده المؤمنين بأنها إرادته الإحسان إليهم وولايتهم ونصرهم[٣] .

---

[١] مجموع الفتاوى [٢٢٢/١٠] .

[٢] انظر : بعض أقوالهم في فتح الباري [٦٠/١] ، عمدة القاري [١٤٦/١] ، قطوف من رياض السنة / صالح أحمد رضا ص ١٤٥ .

[٣] الفتاوى [٦٩٨,٦٩٧/١٠] بتصرف .

ومن أقوالهم في تأويل محبة الله أنها :

- مواطأة القلب على ما يرضي الله سبحانه فيحب ما أحب ويكره ما يكره .
- الاستقامة في طاعته والتزام أوامره ونواهيه في كل شيء ،

وقالوا أيضاً : إن محبة الرسول ﷺ هي التزام شريعته وشبهتهم [1] : أن الحب لا يكون إلا بين متجانسين وأن المحبة تقتضي وجود ملائمة ومناسبة بين المحب والمحبوب .

وأول من ابتدع هذا القول في الإسلام الجعد بن درهم رأس الجهمية وأصحاب هذا القول ينكرون أن يكون إبراهيم خليل الله ، لأن الخلة هي كمال المحبة المستغرقة للحب ، والله تعالى يقول : ﴿ *وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا* ﴾ (سورة النساء :١٢٥).

وقول أصحاب هذا القسم باطل بالكتاب والسنة واتفاق سلف الأمة وذلك من وجوه :

١- أنه لا يشترط أن يوجد التجانس بين الإنسان وبين ما يحبه فالإنسان يحب الطعام ويحب الزهور ، فلا تشترط المجانسة بين المحب ومحبوبه.

٢- أنه لا مناسبة تقتضي المحبة الكاملة إلا المناسبة التي بين الخالق والمخلوق لأن كل ما فُطرت القلوب على محبته من

---

[1] انظر الشبهة في الفتاوى [١١/٣٥٧-٣٥٨] .

صفات الكمال فالله هو المستحق له على الكمال ، وكل ما في غيره من صفات محبوبة فهي منه سبحانه ، فهو المستحق لأن يُحب على الحقيقة والكمال . وإنكار محبة العبد ربه هو في الحقيقة إنكار لكونه إلهاً معبوداً [١] .

٣- إنه لو لم يكن الرب سبحانه مستحقاً أن يحب لذاته حباً قلبياً لما جاز أن يأمر الشرع بمحبته بل قد أمر رسول الله ﷺ بأن يكون سبحانه وتعالى أحب إلينا من كل ما سواه [٢] ولم تقتصر النصوص على محبة طاعته وعبادته .

٤- إن محبة عبادته وطاعته إنما هي أثر من آثار محبته تعالى وعلامة من علاماتها إذ " محبة العبادة والطاعة فرع على محبة المعبود المطاع وكل من لم يُحَب في نفسه لم تحب عبادته وطاعته ولهذا كان الناس يبغضون طاعة الشخص الذي يبغضونه ، ولا يمكنهم مع بغضه محبة طاعته إلا لغرض عوضٍ [أجرة] يعطيهم على طاعته فيكون المحبوب في الحقيقة هو ذلك العوض " [٣] . وقد أُمرنا أن يكون الله ورسوله أحب إلينا من كل ما سواهما من عوض وغيره وبالجملة فالعبادة والطاعة

---

[١] مجموع الفتاوى [٧٢، ٧٣] بتصرف .

[٢] ، [٣] مجموع الفتاوى [٨/٣٥٤] .

تقرب إلى الله ، ومن لا يحب الله تعالى لا يمكن أن يحب أن يتقرب إليه لأن محبة الوسيلة تبع لمحبة المقصود[١] .

٥- أن قولهم أن المراد من محبة الله محبة عبادته وطاعته تحريف للكلم عن مواضعه فحيث قال تعالى ﴿ يحبهم ويحبونه ﴾ وقال ﴿ والذين آمنوا أشد حباً لله ﴾ فإنه تعالى فرق بين محبته تعالى ومحبة العمل له . فقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة: ٢٤).

ففرق بين محبته ومحبة رسوله ومحبة العمل له [الجهاد في سبيله] فلو كان المراد بمحبته محبة طاعته والعمل له لكان هذا تكراراً وكما أن محبته لا يجوز أن تفسر بمحبة رسوله ﷺ فكذلك لا يجوز تفسيرها بمحبة العمل له وإن كانت محبته تعالى تستلزم محبة رسوله ﷺ ومحبة العمل له [٢] .

٦- إن محبة الله حق نطق بها الكتاب والسنة ، واتفق سلف الأمة وأئمتها وأهل السنة أن الله سبحانه محبوب لذاته محبة

---

[١] مجموع الفتاوى [١٠/٦٩] .

[٢] مجموع الفتاوى [١٠-٧٢] .

حقيقية بل هي أكمل محبة وأنه تعالى يحب عباده المؤمنين محبة حقيقية [١] ومن الأدلة على ذلك :

أ – أنه تعالى وصف عباده المؤمنين بأنهم يحبونه في قوله تعالى : ﴿ *يحبهم ويحبونه* ﴾ وقوله تعالى : ﴿ *والذين آمنوا أشد حباً لله* ﴾ ، وقد وصفهم في آيات أخرى بمحبة العمل الصالح ﴿ *فيه رجال يحبون أن يتطهروا* ﴾ ففرق بين محبتهم له ومحبتهم للعمل له .

ب- قوله ﷺ في الحديث الصحيح من رواية صهيب عن النبي ﷺ قال : { **إذا دخل أهل الجنة الجنة نادى مناد يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو ؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجرنا من النار؟ وقال فيكشف الحجاب فينظرون إليه فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه** }وهي الزيادة يعني قوله : ﴿ *للذين أحسنوا الحسنى وزيادة* ﴾ [٢] .

---

[١] الفتاوى [١٠/٦٦/٦٧] .

[٢] أصل الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب الإيمان باب [إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى [٢٩٧] [١/١٦٣] ، وهو باللفظ المذكور عند الترمذي كتاب الإيمان باب تفسير سورة يونس [٣١٠٥] [٥/٢٨٦] .

فأخبر أن النظر إليه سبحانه أحب إليهم من كل نعيم أُعطوه في الجنة ، ومحبة الرؤية تتبع محبة المرئي ، وما لا يحب ولا يبغض في نفسه لا تكون رؤيته أحب إلى الإنسان من جميع أنواع النعيم [1] ورؤية الله تبارك تعالى يتلذذ بها المؤمنون ولذا شرع سؤالها في الدعاء [وأسألك لذة النظر إلى وجهك العظيم والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة].

جـ - إن لفظ العبادة الذي جاء به الشرع يتضمن كمال المحبة مع الذل ، وكذلك لفظ الإنابة ﴿ وأنيبوا إلى ربكم ﴾ يقتضي المحبة أيضاً [2] .

القسم الثاني :

أثبتوا المحبة لله ولكنهم لم يزنوها بميزان الكتاب والسنة حيث ادعوا المحبة المجردة عن التعظيم والإجلال والخشية لله تعالى ، وجعلوها من جنس محبة المخلوقين فأثبتوا لها ألفاظ الغرام والعشق ، واللوم والعذل والهجران حتى أخرجهم ذلك إلى نوع من الرعونة والدعاوى التي تنافي العبودية حتى يظن أحدهم سقوط التكاليف عنه ، وتحليل الحرام له فأدى ذلك إلى

---

(1) الفتاوى [٣٥٦/٨] .

(2) أنظر الفتاوى [٧٠/١٠-٧١] .

خروجهم عن شريعة الله ودينه والعياذ بالله ، فدخل في هـذه المحبة الشرك واتباع الأهواء ، وترك العمل بالشرع[١] .

وهؤلاء هم الصوفية ولهذا تجد غالب أشعارهم وقصائدهم تتضمن الحب والشوق والعذل والغرام وهذا المذهب ظاهر البطلان والفساد من أوجه هي :

١- أن المحبة ما لم تقترن بالخوف من الله وخشيته وتعظيمه فإنها لا تنفع صاحبها بل تضره لأنها توجب التواني والانبساط وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أن يكتفوا بها عن أداء الواجبات الشرعية ..... ومن سلك هذا السبيل فقد انسلخ عن الإسلام العام كانسلاخ الحبة من قشرها وهو يظن أنه من الخاصة المحبين لله ، وسبب هذا هو عدم اقتران الخوف من الله بمحبته ، ولهذا قال بعض السلف {من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري [من الخوارج] ، ومن عبده بالرجاء فهو مرجيء[٢] ومن عبده بالحب والخوف والرجاء فهو مؤمن ... ومتى خلا القلب من

---

[١] المرجع نفسه [٣٦٠/٨] . [٢٠٧/١٠،٢٠٩-٢١٠] .

[٢] المرجئة : فرقة زعموا أن الإيمان هو إقرار بالقلب فقط وأن القول والعمل لا يدخل فيه ، مأخوذ من الإرجاء وهو التأخير سموا بذلك لأنهم أخروا العمل عن الإيمان [الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٩٠] .

هذه الثلاث فسد فساداً لا يرجى صلاحه أبداً ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه [١] ولهذا قرن الله تعالى المحبة بالخشية في قوله تعالى : ﴿ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴾ (ق:٣٢-٣٣) .

٢ - أن كل من ادعى المحبة و لم يتبع الرسول ﷺ فقد كذب في دعواه ، وليست محبته تلك لله وحده ، بل إن كان يحبه فهي محبة شرك فإنما يتبع ما يهواه كما ادعى اليهود والنصارى ذلك فقالوا ﴿ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ ﴾ فقال الله : ﴿ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ ﴾ (المائدة : ١٨) [٢] .

ولو أحبوه تعالى لا تبعوا سنة رسول الله ﷺ وشريعته باطناً وظاهراً وهذا هو الدليل على وجود محبة الله والإخلاص فيها [قال طائفة من السلف ادعى قوم على عهد النبي ﷺ أنهم يحبون الله فأنزل الله هذه الآية ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣] وهذه الآية امتحن الله بها كل من يدعي محبة

---

[١] مجموع الفتاوى [١٥/٢٠-٢١] بتصرف .

[٢] المرجع السابق [٨/٣٦٠] .

[٣] انظر مجموع الفتاوى [١٠/٨١] .

الله فحقيقة المحبة لا تتم إلا بموالاة المحبوب وموافقته في حب ما يحب وبغض ما يبغض والله تعالى يحب الإيمان والتقوى والطاعات ويبغض الكفر والفسوق والعصيان [١] .

٣- أنه لا يجوز أن يظن في باب محبة الله تعالى ما يظن في محبة غيره من التجني والهجر والقطيعة لغير سبب [٢] فإن هذا من نسبة صفات النقص لله تعالى ووصفه بغير ما وصف به نفسه ، وكفى بهذا ظلما وعدوانا .

٤- إن الذنوب تنقص الإيمان وتنقص محبة الله تعالى وترك أداء الأعمال والواجبات الشرعية مع ادعاء محبة الله حمق وجهل ، لأن هذا سبب لبغض الله للعبد ولعقوبته أيضا إذ طاعة الله وعبادته هما علامة محبته ومن ادعى أن الذنوب لا تضره لأنه يحب الله أو لكون الله يحبه مع إصراره عليها كان بمنزلة من زعم أن تناول السم لا يضره مع مداومته عليه وعدم تداويه منه[٣] .

ولذلك حذر السلف من الخوض في الكلام عن المحبة دون الخشيةلما في ذلك من الفساد الذي وقع فيه طوائف المتصوفة،

---

[١] المرجع السابق [١٠/١٩٢] .

[٢] المرجع السابق [١٠/٨٦] بتصرف .

[٣] انظر مجموع الفتاوى [١٠/٢٠٨] بتصرف .

قال ابن تيمية [وكره من كره من أهل المعرفة والعلم مجالسة أقوام يكثرون الكلام في المحبة بلا خشية] [١]. وهذا التحذير ينطبق أيضا على الكتب التي تخوض في هذا الجانب [ويتمسكون فيها بأقوال لا يعرف صدق قائلها ولو صدق لم يكن قائلها معصوماً فيجعلون متبوعيهم يشرعون لهم ديناً كما جعل النصارى قسيسيهم ورهبانهم شارعين لهم ديناً] [٢].

لوازم محبة الله :

المحبة التامة تستلزم موافقة المحبوب في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته، [٣] والمراد بلوازم محبة الله الأمور التي ترتبط بمحبة الله وتتلازم معها فإن محبة الله تعالى تؤدى إلى محبة كل ما يحبه تعالى من :

أ- **أشخاص** : كمحبة رسل الله جميعاً عليهم أفضل الصلاة والسلام وأفضلهم محمد ﷺ ومحبة الملائكة وخاصة جبريل وميكال ومحبة الصالحين والأخيار وفي مقدمتهم صحابة رسول الله ﷺ ، وغيرهم من الصالحين سواء وصلنا منهم نفع أم لم

---

[١] المرجع السابق [١٠/٨٢/٢٠٧] .

[٢] المرجع السابق [١٠/٢١٢] .

[٣] الفتاوى [١٠/٦٠] وأنظر ، إغاثة اللهفان [٢/١٣٨] .

يصل وسواء كانوا أحياء أو أمواتاً ، وهذه محبة واجبة تتفرع من محبة الله عز وجل .

ب- **وأعمال** : وهي كل الطاعات التي يحبها الله سبحانه من الواجبات والمستحبات الظاهرة والباطنة وأعلاها الفرائض والجهاد في سبيل الله ، وكذلك الصفات الحسنة وفضائل الأخلاق وبالجملة محبة كل أمور الدين والشرع .

جـ- **أمكنة** : وأحبها إلى الله تعالى مكة لقوله ﷺ {والله إنك لخير أرض الله وأحب الأرض إلى الله } [1] وكذلك جبل أحد لقوله ﷺ في أحد { هذا جبل يحبنا ونحبه } [2] .

وكذلك المساجد لقوله ﷺ {أحب البلاد إلى الله مساجدها} [3] .

د- **أزمنة كشهر رمضان والعشر الأولى من ذي الحجة** .

ولذلك فإن محبة الله تعالى تستلزم بغض ما يبغض الله وكراهة

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في المسند [٤/٣٠٥] والترمذي في المناقب [٦٨] وصححه الألباني في صحيح الجامع [٧٠٨٩] .

[2] صحيح البخاري : كتاب الزكاة : باب خرص التمر [٢/٣٤٤] وأخرجه أيضا في الاعتصام ، والجهاد ، والأطعمة الأنبياء والدعوات والمغازي ومسلم في كتاب الحج رقم (٤٦٢).

[3] صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة باب فضل الجلوس في مصلاة بعد الصبح وفضل المساجد [١/٤٦٤] وتتمته [وأبغض البلاد إلى الله أسواقها] .

ما يكره من الأعمال {كالكفر والفسوق والعصيان} والأشخاص والأماكن .

أسباب محبة الله تعالى :

إن الأساس النظري لتحصيل محبة الله تعالى هو التأمل في الأسباب التي تدفع القلوب للمحبة أصلاً وربطها بمحبة العبد لله سبحانه وهذه الأسباب هي :

١-أن الإنسان مجبول على محبة نفسه فهو يحب وجودها وبقاءها سالمة من الآفات ولذا فإنه يكره أن يؤذيه أحد.

فإذا علم أن سبب وجود هذه النفس التي يحبها ، وسبب بقائها هو خالقها الذي أوجدها من العدم ورزقها الحياة وما تقوم به الحياة فهي نعمة من الله ، فالله سبحانه هو المستحق في الحقيقة لصرف هذا الحب له كما قال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ * الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (قريش ٣-٤) .

٢-إن الإنسان بطبعه يحب من يحسن إليه ، فيشعر بالميل والمحبة نحو أي شخص يقدم له أي لون من ألوان الإحسان فإذا تأمل العبد وجد أن المحسن الحقيقي هو الله تعالى فإنه المتفضل بجميع النعم وإن كانت تجري عليه بواسطة مخلوقات الله ، وهو

سبحانه ميسر هذه الوسائط ومسبب الأسباب [1] فلا معطي في الحقيقة ولا محسن سوى الله تعالى ، وبشيء من الإدراك والتأمل يعلم العبد أن المحسن الحقيقي هو الذي خلق أولئك المحسنين وسخرهم للإحسان إليه ، وأن أي إحسان من بشر مهما بلغ لا يساوي شيئاً في جنب إحسان الله تعالى إلينا خلقاً ورزقاً فهو سبحانه المستحق للمحبة من هذا الوجه .

قال سبحانه : ﴿ وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ ﴾ (يونس:١٠٧) .

وفي هذا الأصل يقول الشيخ ابن عثيمين : " أحق الحقوق وأوجبها وأعظمها حق الله تعالى الذي رباك بالنعم وأنت في بطن أمك في ظلمات ثلاث لا يستطيع أحد من المخلوقين أن يوصل إليك غذاءك ومقومات حياك ونموك فأدر لك الثديين ، وهداك النجدين وسخر لك الأبوين ، أمدك بالحواس والعقل والفهم ، وأعدك لقبول العلم والانتفاع به ﴿ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ

---

[1] مجموع الفتاوى [١٠/٨٤] .

﴿وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ فلو حجب عنك فضله طرفة عين لهلكت ولو منعك رحمته لحظة ما عشت ، ولا يريد منك رزقاً ولا طعاماً بل يريد منك شيئاً واحداً . مصلحته عائدة إليك وهو عبادته وحده لا شريك له ، فلو كان لأحد من الناس فضل عليك لاستحييت أن تخالفه فكيف بربك الذي كل نعمة فيك فهي من فضله.[1] "

٣- أن إحسان المرء لأخيه إنما يريد به منفعة إما عاجلة أو آجله أو دفع مضرة فالوالد يحسن إلى أولاده ليحسنوا إليه في كبره ، أو لينال أجر ذلك عند الله تعالى ، وكذا إحسان الناس إليك إنما يقصدون أنفسهم بها إما لجلب منفعة دنيوية أو أخروية أو لدفع مضرة كذلك .

وإنما يستوجب المحبة الخالصة من أحسن إليك لا لإرادة منفعة ولا لدفع مضرة وهو الغني عن ذلك كله وهو الله سبحانه كما أخبر عن نفسه بقوله تعالى في الحديث القدسي

---

[1] حقوق دعت إليها الفطرة [ص ١١-١٠] .

الصحيح : ﴿ يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني﴾ [١] .

وبقليل من التأمل يدرك العبد أن الله تعالى أحسن إلينا بوجودنا ابتداء وأحسن خلقنا فجعله في أحسن تقويم ، ثم هدانا لأعظم نعمة وهي الإسلام كل ذلك ونحن لم نسأله إياه ولم نطلبه وإنما كان ذلك منة من الله ابتداءً فهو سبحانه المستحق للمحبة دون غيره . والإنسان الذي لا يدرك ذلك كالبهيمة تحب من يجلب لها الطعام دون مالكها .

٤- إن الإنسان مفطور على محبة أوصاف الجمال والكمال سواء في الصورة أو المعنى والله سبحانه هو أهل الكمال المستحق لجميع أوصاف الكمال والجمال على الحقيقة الكاملة المنزه عن كل نقص .

والمتأمل لأسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلي يرى من معانيها ما يشهد أن الكمال الحقيقي لله وحده فهو المستحق للمحبة الخالصة .

---

[١] أخرجه الإمام مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة باب تحريم الظلم [١٩٩٤/٣] عن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً .

٥- الإنسان بطبعه يحب المحسن والكامل في أخلاقه حتى لو لم يصله بره وإحسانه ، فإذا قيل فلان كريم أحببناه لذلك ، وإحسان الله إلى خلقه أعظم من أي إحسان وحكمته في تدبيره وخلقه تستوجب محبته تعالى .

كل هذه الأمور يتأكد بها استحقاقه تعالى وحده للمحبة والعبادة دون سواه .

درجات محبة الله تعالى :

يتفاوت المؤمنون في مقدار محبتهم لله بتفاوت إيمانهم وعبوديتهم لله وإخلاصهم وكلما قوى إخلاص العبد دينه لله كملت عبوديته له وكملت محبته له غير أن هناك حداً لايجوز للمؤمن أن تنزل عنه محبته لربه ولذا فإن محبة الله تكون إجمالا على درجتين :

١- الدرجة الأولى : وهي الفرض اللازم [١]

أن يحب الله سبحانه محبة توجب محبة ما فرض عليه وبغض ما حرمه عليه ومحبة رسوله ﷺ المبلغ لأمره ونهيه ، وتقديم محبته على النفوس والأهلين والرضا بما بلغه عن الله من الدين وتلقي ذلك بالرضا والتسليم . ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين

---

[١] شرح ثلاثيات مسند أحمد [٦١٣/١] ، فتح الملهم [١٠٩/١] .

لهم بإحسان جملة وعموماً ، وبغض الكفار والفجار جملة وعموماً.

ومن نقص من هذا شيئاً فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك كما ينقص من محبته الواجبة التي تقتضي فعل الواجبات وترك المحرمات .

٢- الدرجة الثانية :

نفل ومستحب [٢] وفيها يتفاوت المؤمنون تفاوتاً واسعاً وهي أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه الله سبحانه من نوافل الطاعات وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات ، والرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات وهذا فضل مستحب مندوب إليه .

وكمال محبته هي التي عليها الأنبياء والمرسلون وقد سبق ذكرها

فضل محبة الله وثمراتها :

إذا تمكنت محبة الله من قلب العبد دفعته إلى كل خير وأبعدته عن كل شر فنال خيري الدنيا والآخرة فمن ثمراتها وفضائلها المحسوسة ما يلي :

---

[٢] شرح ثلاثيات مسند أحمد [٦١٣/١] ، فتح الملهم [١٠٩/١] .

١- صلاح قلب العبد ونفسه بحيث تسكن وتطمئن وتنعم بصرف قوى الحب كلها لله وحده والتعلق به حباً وخوفاً ورجاءً [١] .

٢- صلاح جوارحه كلها لأن المحبة تحرك الإنسان لعمل كل ما يحبه الله ويرضاه وطاعته [٢] وتحرك في قلبه حب الإيمان والتقوى والعمل الصالح والعلم النافع فتندفع جوارحه لاكتسابها وبهذا يصلح قلبه وجسده مصداقاً لقوله ﷺ { إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ... الحديث } ولا صلاح لهذا القلب إلا بمحبة الله المقترنة بخشيته وتعظيمه ، وينشأ عن ذلك الاستقامة على الصراط المستقيم .

٣- الشعور الغامر بحلاوة الإيمان ، فصادق المحبة لله تعالى وصحيح الإيمان يجد حلاوة وبهجة ونعيماً ولذة تجعله يعيش في جنة في الدنيا قوامها الأنس بالله والاشتغال بذكره والتنعم بذلك فلا يفارقه السرور ويجد حلاوته في قلبه [٣] .

---

(١) انظر روضة المحبين [١/١٩٩] .

(٢) إغاثة اللهفان [٢/١٣١] .

(٣) انظر : شرح ثلاثيات مسند أحمد [١/٦٣٨] ، المنهل الحديث [١/١١] ، في ظلال المحبة [١٠١] .

٤- الحماية من البدع ومن التقصير ومن الغلو ، لأن المحبة تدعو إلى الاعتدال وصدق الاتباع لسنة رسول الله ﷺ بحيث يترسم العبد طريقته ولا يحيد عنها قيد أنملة [١] وبهذه المحبة يحمي الله صاحبها من الوقوع في البدع أو التقصير أو الغلو .

٥- ومن أعظم ثمراتها وفضائلها أن ينال صاحبها محبة الله سبحانه وتعالى له فيحبه الله فإذا أحب العبد ربه وقام بواجبات هذه المحبة أعطاه الله أكثر مما عمل [٢] كما قال تعالى في الحديث القدسي ﴿ **أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وأن تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً وإن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعاً ،وإن أتاني يمشي أتيته هرولة**﴾[٣] .

وفي الحديث القدسي الصحيح يقول تعالى : ﴿**من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضته عليه ولا يزال عبدي يتقرب إليّ**

---

[١] انظر شرح العقيدة الواسطية [١٤١/١] .

[٢] انظر المصدر نفسه [١٣٧/١] .

[٣] أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب التوحيد باب قول الله تعالى (ويحذركم الله نفسه) [٣٨٤/١٣] .

بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصربه ، ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه﴾ [1]. فيحب تعالى من أحبه عاملاً بموجبات محبته ويواليه ويحفظ له سمعه وبصره وجوارحه فلا تعمل إلا لله وبالله ويستجيب الله دعاءه ، قال بعضهم من عرف الله أحبه ومن أحبه أطاعه ، ومن أطاع الله أكرمه الله ، ومن أكرمه الله أسكنه في جواره، ومن أسكنه في جواره فطوباه وطوباه [2] .

٦- ومن ثمراتها قطع الوسواس فلا يتمكن الشيطان من زرع نزغاته في قلب المؤمن [3] .

كيف تحرك القلوب لاكتساب محبة الله :

إن معرفة معنى محبة الله وأهميتها وثمراتها لجديرة بان يدفع المسلم لطرق كل باب شرعه الله وجعله موصلاً إليها والوسائل الشرعية التي تحرك القلوب وتدفعها لتحصيل محبة الله والشعور بها هي :

---

(1) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه كتاب الرقاق باب التواضع [٣٤٠/١١] .

(2) شرح ثلاثيات مسند أحمد [٦١٣/١] .

(3) انظر : في ظلال المحبة [١٦٢] .

١- التدبر في خلقه ومشاهدة آثار بره وإحسانه والتفكير في نعمه الظاهرة والباطنة ، وقد دعا الله سبحانه إلى هذا فقال ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (النحل ٥٣) ﴿فَاذْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ وَلا تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (الأعراف :٧٤) ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ (لقمان ٢٠) ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا﴾ (النحل: ١٨) .

فليتذكر العبد نعم الله عليه من خلقه وإمداده بالنعم منذ دخلت فيه الروح ، فمن الذي أجرى الدم في عروقك قبل أن تولد إلا الله عز وجل ؟ ومن الذي دفع عنك النقم التي انعقدت أسبابها إلا الله عز وجل ؟

ويتذكر تسخير الله سبحانه للسماء والأرض وما فيها من أشجار وحيوان ، وما أسبغ عليه من النعم الباطنة من الإيمان والإسلام والعقل .

وهذا بلا شك يثير باعث المحبة لله عز وجل وقد أشار إليه ﷺ في قوله : **{أحبوا الله لما يغذوكم به}** [1] .

---

[1] الحديث أخرجه الترمذي في المناقب باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ [٦٦٤/٥] والحاكم في المستدرك [١٤٩/٣] وصححه وأقره الذهبي - وصححه السيوطي في الجامع الصغير [انظر : فيض القدير (١٧٧/١)] .

ولو أن أحداً أهدى إليك شيئاً يسيراً فإنك تحبه ، فانظر نعم الله العظيمة التي أسبغها عليك وهي لا تحصى ، وهي دائمة وتذكر أن الله هو الذي أسداها إليك وأدامها عليك ولو شاء لسلبها منك غير أنه بلطفه سبحانه يبقيها عليك فأنت تتقلب فيها حتى تنساها ، ولذلك فأنت في حاجة دائمة لأن تتأمل وتتذكر أن الله تعالى أعطاك هذه النعم وفضلك على كثير من عباده المؤمنين بالعلم أو بالعبادة أو بالمال أو الجمال أو الجاه وما من نعمة إلا وتحتها من هو دونها فتحب الله لذلك كما لو أنه أتتك نعمة وأنت بحاجة شديدة إليها لانشرح قلبك وأحببت الذي أسداها [1] .

٢- كثرة ذكر الله ودوامها على كل حال باللسان وبالقلب والعمل والحال بحيث يكون ذكره تعالى دائم الحضور في نفسك فكلما شاهدت شيئاً استدللت به على الله عز وجل فيكون قلبك مشغولا دائما بالله معرضا عما سواه ، فهذا يجلب لك محبة الله عز وجل ويكون نصيبك من المحبة بقدر نصيبك من الذكر لأن كثرة ذكر المحبوب تعلق القلب به ، ولهذا أمر الله عز وجل بذكره كثيرا فقال عز من قائل

---

[1] شرح الوسطية لابن عثيمين [١٤٥/٢] ، مدارج السالكين [١٧/٣] الفتاوى [٩٦/١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ (الأحزاب ٤١) .

ولابد لمن أكثر من ذكر الله أن يثمر له ذلك محبة الله[١] ويشترط لهذا الذكر مواطأة القلب اللسان وشهود المعاني بالقلب ، والمتابعة للنبي ﷺ في الأوراد[٢] .

٣- محبة ما يحبه الله تعالى من الأقوال والأعمال ، فإذا أحببت الشي الذي يحبه فإنه تعالى يجازيك بأن يضع محبته في قلبك فتحب الله عندما تحب ما أمر به من الطاعات والقربات ، وترضى أحكامه وقدره ، وعندما تحب الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.

وعلامة محبة ما يحبه الله أن تؤثر ما يحبه الله على ما تحبه أنت عند غلبة الهوى [٣] وكذلك تبغض ما يبغضه الله ولو كان فيه ما يدعو إلى ميل القلب إليه .

---

(١) انظر : مدارج السالكين [١٧/٣] شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين [١٤٥/٢] ، مجموع الفتاوى [٩٥/١] .

(٢) انظر : في ظلال المحبة ص ٥٤ نقلاً عن الفوائد ٢٤٧ .

(٣) انظر : شرح العقيدة الوسطية لابن عثيمين [١٤٥/٢-١٤٦] ، مدارج السالكين [١٧/٣] .

٤- التقرب إليه تعالى بإكمال الفرائض والإتيان بالنوافل فإنها تزيد محبة الله في قلب العبد .

والحرص على الإحسان فيها فمثلاً :

- تحرص على التوبة لأن الله يحب التوابين ، فتكثر من التوبة إلى الله والرجوع بقلبك وقالبك إليه وتستحضر وأنت تقول : أتوب إلى الله أن بين يديك معاصي ترجع إلى الله منها فتنال محبته تعالى .
- وتحرص على الإحسان في أعمالك والإحسان إلى الناس لأن الله يحب المحسنين .
- وتحرص على التقوى فتصلح ما بينك وبين ربك لأن الله يحب المتقين.
- وتحرص على الطهور فتستحضر وأنت تطهر بدنك وثوبك من النجاسة أن الله تعالى يحبك لأنه سبحانه يحب المتطهرين ، وبالمثل تستحضر في الأعمال الإخلاص والقربة وأنها سبب لمحبة الله وبالجملة تحرص على اتباع سنته ﷺ لأنها سبب لمحبة الله [1]

---

[1] انظر المرجعين السابقين .

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (آل عمران ٣١) .

والدليل على أن التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض من الأسباب الجالبة لمحبة الله الحديث السابق والشاهد قوله تعالى فيه (أحببته).

٥- التعرف إلى الله بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله فمن عرف الله تعالى بأسمائه وصفاته أحبه لا محاله [١] .

٦- قراءة القرآن بالتدبر والتفهم لمعاينة كتدبر الكتاب الذي يحفظه الإنسان ويشرحه ليتفهم مراد صاحبه منه [٢] فإذا مر بتسبيح سبح أو سؤال سأل أو تعوذ تعوذ كما يفعل ﷺ في صلاة الليل .

٧- الخلوة بالله تعالى وقت النزول الإلهي وأوقات الإجابة لمناجاته وتلاوة كلامه والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية بين يديه ثم ختم ذلك بالاستغفار والتوبة [٣] .

٨- وهو من أهمها انكسار القلب بكليته بين يدي الله خاصة عند الدعاء والإلحاح فيه والتذلل في الطلب ، فيجمع ذل المحب

---

(١) (٢) (٣) مدارج السالكين [١٧/٣] .

لحبيبه ، وذل المملوك لمالكه وذل الجاني بين يدي المنعم وذل العاجز بين يدي القادر سبحانه (١) .

٩- مجالسة الصالحين والانتفاع بعلمهم (٢) .

١٠-طلب العلم الشرعي من مصادره الصحيحة مما يتضمن معرفة المزيد من أحكام الله والايمان بها ومحبتها .

١١- مباعدة كل سبب يحول بين القلب وبين الله عز وجل (٣) من إعتقاد باطل كتحريف أسمائه وصفاته أو تعطيها أوشرك أكبر أو أصغر ، أو ترك لبعض فرائض الله تعالى أو تجاوز لبعض حدوده أو الوقوع في بدعة قولية أو عملية أو الوقوع في شئ من الكبائر أو الصغائر ، أو الغفلة أو التوسع في المباحات (٤) .

١٢- أن لا يغتر المرء باعتقاد أن مجرد العلم بما ذكر من محركات القلوب للمحبة كاف بل لابد من بذل الجهد في استعمالها وإستفراغ الوسع والطاقة في ذلك (٥) .

---

(١) في ظلال المحبة (ص ٦٣) نقله عن مدارج السالكين [٢٠٧/١].

(٢) (٣) مدارج السالكين [١٧/٣-١٨].

(٤) انظر : في ظلال المحبة [ص ٧٦] .

(٥) المرجع نفسه [٨٥]نقله عن مدارج السالكين [١٨/٣].

علامات محبة الله تعالى :

المحبة في القلب يظهر أثرها على الجوارح ولابد ، إذ أن محبة الله في قلب العبد كالشمس المشرقة التي تظهر على كل الوجود وتشع على كل موجود وآثارها على العبد المحب لربه واضحة في أعماله وأقواله وأخلاقه ومن علامات وجودها في قلب العبد ما يلي :

١- الولع بذكر الله تعالى والشوق إلى لقائه ، وهو شوق مشحون بالبر فيفعل البر تقرباً إلى من هو مشتاق إليه ، ويسبق ذكر الله تعالى إلى قلبه ولسانه وخاصة في المواطن الآتية :

*عند أول انتباهه من منامه فأول ما يسبق إلى قلبه ذكر الله .

* عند أخذ مضجعه فلا ينام إلا على ذكره .

- عند دخوله في الصلاة بحيث لا أحب عليه منها ولا أطيب .
- عند الشدائد والأهوال لا يهرب إلا إلى محبوبه [1].
- عند النعم والمسرات يذكره حامداً شاكراً .
- عند أفعال القربات فيخلص فيها النية له .

---

[1] في ظلال المحبة [٢٣] – مختصر منهاج القاصدين [٣٥١] .

٢- أن يتأسف على فوات أوراده من ذكر الله تعالى فإذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وولده فيبادر إلى قضائه في أقرب وقت كما كان يفعل ﷺ (١)

٣- الرضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً ونبياً ، ويتجلى هذا في أمور :

- الاعتزاز بدين الإسلام والولاء له ، والموالاة فيه والبراءة من الكفر وأهله وبغضهم .(٢)

- محبة الرسول ﷺ وطاعته والاقتداء به والعمل بسنته وبدون هذا تكون دعوى المحبة كاذبة لا قيمة لها لأن محبته ﷺ من محبة الله وطاعته من طاعة الله وهي الميزان الصادق لبيان صدق دعوى المحبة من زيفها (٣)

٤- العمل بالجوارح بمقتضى محبة الله فعلاً وتركاً عطاءً ومنعاً وتتضمن :

---

(١) في ظلال المحبة [٢٣]

(٢) روضة المحبين [٢٧٢] وحين تصدق المحبة يصبح المؤمن قوي الإحساس بالعزة بالإسلام والنفور من الشرك وأهله : قال الإمام أحمد [إذا رأيت النصراني أغمض عيني كراهية أن أرى عدو الله أنظر شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين [ص ٣٨٣] .

(٣) انظر : صفوة الأثار [٤/١٠] بتصرف

- امتثال أوامره الواجبة والمستحبة عن رضى وتسليم ما استطاع وقد قال أحد الصالحين : [كل من ادعى محبة الله عز وجل و لم يوافق الله في أمره فدعواه باطلة و كل محب ليس يخاف الله فهو مغرور[1] .

- الصبر على طاعته والمواظبة على امتثال الأمر والتقرب بالنوافل .

- اجتناب نواهيه والبعد عما ما يكره وحفظ حدوده .

[وقد قال يحيىٰ بن معاذ : ليس بصادق من أدعى محبة الله عز وجل و لم يحفظ حدوده] .

تعصي الإله وأنت تزعم حبه هذا لعمري في القياس شنيع**
لوكان حبك صادقاً لأطعته ** إن المحب لمن يحب مطيع[2]

*الصبر عن معصيته وإنما يقوى الصبر بقوة المحبة ويضعف بضعفها ، غير أن المعصية وإن دلت على نقص المحبة فإنها لاتنافي وجود أصل المحبة بل تنافي كمالها لما ثبت في صحيح البخاري[3] من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الرجل الذي جلد على عهد رسول الله ﷺ لشرب الخمر فلعنه

---

(١) (٢) جامع العلوم والحكم [٢/٣٩٧] .

(٣) كتاب الحدود باب مايكره من لعن شارب الخمر [١٢/٧٥] .

رجل من القوم فقال ﷺ :[لا تلعنوه فو الله ماعلمت إنه يحب الله ورسوله] وما موصولة أي الذي عرفت أنه يحب الله ورسوله . قال ابن حجر [1] [وفيه أنه لاتنافى بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب ويحتمل أن يكون استمرار ثبوت محبة الله ورسوله في قلب العاصي مقيداً بما إذا ندم على وقوع المعصية وأقيم عليه الحد فكفر عنه الذنب المذكور بخلاف من لم يقع ذلك منه فإنه يخشى عليه بتكرار الذنب أن يطبع على قلبه شئ حتى يسلب منه ذلك نسأل الله العفو والعافية .]

- تقديم مراضي الله ومحبوباته على مراضي النفس ومحبوباتها ويؤثر مرضاة الله ورسوله ﷺ على ماسواهما كائناً من كان خاصة الثمانية المذكورين في آية التوبة فقد توعد الله تعالى من قدم محبة أهله وعشيرته وأمواله ومساكنه على محبة الله ورسوله والجهاد في سبيله فقال تعالى ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا

---

[1] الفتح [٧٨/١٢] .

﴿ أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (التوبة:٢٤) والمعاصي تنشأ من تقديم الهوى ومحبة ما يجب الإنسان على أمر الله ورسوله الناشئ عن محبتهما فإن قدم هواه وما يجب على محبة الله أي الحب الذي يوجب التأله فقد أشرك [١].

- اجتناب البدع القولية والفعلية لأنها إنما تنشأ من تقديم هوى النفس أو تقديم طاعة المتبوعين على طاعة الله ورسوله ﷺ ولذا سمي أهل البدع أهل الأهواء [٢] وعلامة المحبة الصادقة أن يترسم العبد طريق الاتباع للسنة فلايطأ موطئا أويسلك مسلكاً إلاحيث وجد أثرا صحيحاً عن المعصوم ﷺ.

٥- السكون إلى ذكر الله وطاعته والأنس بالخلوة مع مناجاته فيواظب على التهجد و الوحشة بغيره [٣] فيستوحش من فضول المخالطة وفضول الكلام[ويغار على قلبه أن يسكن إلى غير الله أو يأنس بسواه [٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد [٤٧٠-٤٧١] .

(٢) جامع العلوم والحكم [٣٩٧/٢] بتصرف .

(٣) انظر في ظلال المحبة [١٥١] .

(٤) روضة المحبين [٣١٤] .

٦- كثرة تلاوة القرآن الكريم والتلذذ بها [١] والتأثر بمواعظه وتدبر آياته مع تنزيلها على أحوال نفسه وأدوائها .

٧- الخشية والإنابة والخوف من عقابه سبحانه [٢] والتوبة الصادقة وملازمة الاستغفار .

٨- الرضا بما قسم الله تعالى وانشراح الصدر به ، والرضا بما يقدره تعالى على العبد من المكاره والمصائب من مرض أو فقر أو فقد عزيز لكونه مراد لله تعالى [٣] والله تعالى لايريد بالمؤمن إلا الخير وعلامة ذلك كثرة الحمد ظاهراً وباطناً في كل الأحوال وذلك لأن [المحبة كلما تمكنت في القلب ورسخت فيه كان ما يصيبه من محبوبه مستحلى غير مسخوط] [٤] .

٩- الغيرة على حرمات الله أن تنتهك وعلى حدوده أن تضيع [٥] فتراة آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

---

(١)(٢) انظر في ظلال المحبة [٢٣] .

(٣) الفتاوي [٦٨٢/١٠] في ظلال المحبة [٢٣] .

(٤) إغاثة اللهفان [١٨٨/٢] .

(٥) روضة المحبين [٣١٤] .

١٠- الشفقة على المؤمنين والرحمة بهم والشدة على الكافرين [(١)] فيحب جميع المسلمين الأحياء والأموات على إختلاف أجناسهم وألوانهم ويساعدهم بكل أنواع المساعدة[(٢)].

ونقص هذه العلامات يدل على نقص محبة الله تعالى فمن ترك بعض ما يحبه الله مع وجوبه والقدرة عليه أو فعل بعض ما يبغضه الله ورسوله فإن ذلك علامة من علامات نقص المحبة الواجبة فعليه أن يتوب إلى الله تعالى من ذلك ويرجع إلى تكميل المحبة الواجبة [(٣)] ومن لم يحب ما أحب الله ورسوله و لم يرض بما رضي الله ورسوله و لم يسخط بما يسخط الله ورسوله فليبحث عن محبة الله في قلبه فإنها مفقودة لأن هذا دليل النفاق والعياذ بالله .

محبة الرسول ﷺ

وهي من لوازم محبة الله عز وجل وقد جعلها الله تعالى البينة المقبولة لصدق من ادعى محبته تعالى ، والميزان الصادق لمقدار محبة الله تعالى في قلب العبد حيث إن محبته تعالى تقتضي

---

(١) في ظلال المحبة [٢٣] .

(٢) صفوة الآثار [٤/١١١] .

(٣) انظر جامع العلوم والحكم [٢/٣٩٧] .

وتستلزم في الدرجة الأولى محبة خليله ومبلغ رسالته إلى النـــاس نبينا محمد ﷺ.

قال ابن القيم :

" لما كثر المدعون للمحبة طولبوا بإقامة البينـــة علـــى صحـــة الدعوى وقيل لا تقبل هذه الدعوى إلا ببينة ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّـــهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (آل عمران : ٣١).

فتأخر الخلق كلهم وثبت اتباع الحبيب في أفعالـــه وأقوالـــه وأخلاقه)".

معنى محبته ﷺ والمراد بها :

بينت النصوص الشرعية معنى محبة الرسول ﷺ وحدودهـــا ولوازمها ، وقد جاء في كل ذلك الآيات والأحاديث الآتية:

١ – قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِـــنْ أَنْفُسِـــهِمْ ﴾ (الأحزاب : ٦) .

٢ – قوله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُـــوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (النساء :٦٥) .

٢- قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور : ٥١).

٤- ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (النساء: ٨٠).

٥- ﴿ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ ﴾ (التوبة : ٦٢) .

٦- قوله ﷺ { **لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين** }[١] .

٧- قوله ﷺ لعمر لما قال له (والله يا رسول الله لأنت أحب إلى من كل أحد إلا من نفسي)فقال : يا عمر حتى أكون إليك من نفسك فقال عمر : فأنت أحب إلى من نفسي]فقال ﷺ : (الآن يا عمر) [٢] .

فالنصوص فرقت بين محبة الرسول ﷺ وبين أتباعه وطاعته فدل هذا على أن المراد محبته ﷺ محبة قلبية حقيقية نابعة من الإيمان به رسولاً وهادياً ولما حباه الله تعالى من أوصاف الكمال الإنساني الظاهرة والباطنة فهو أحق إنسان بالمحبة القلبية التي يستحقها العبد المخلوق من حيث ذاته وأوصافه الشريفة

---

[١] الصحيح مع الفتح [١ / ٥٨]

[٢] الصحيح مع الفتح [١١ / ٥٢٣]

وأخلاقه الكاملة التي يحبها الله ومن حيث كونه وسيلة الهداية للناس والمراد بها تلك المحبة الموجبة لتقديم ذاته ﷺ على النفس والوالد والولد والأهل والمال ، ولتقديم قوله وأمره على قول كل إنسان كائناً من كان وهذا هو معنى قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (الأحزاب آية : ٦) .

وقد عبرت عن هذه المحبة أصدق تعبير صحابية من بني دينار يوم أحد حين مر بها رسول الله ﷺ وقد قتل زوجها وأخوها وأبوها مع رسول الله ﷺ بالمعركة ، فلما نُعوا لها قالت : ما فعل رسول الله ﷺ ؟ قالوا خيراً هو بحمد الله كما تحبين ، قالت : أرونيه أنظر اليه ، فأشاروا لها إليه حتى إذا رأته قالت : { كل مصيبة بعدك جلل } أي هينة قليلة [1] .

وقد وقع في تفسير هذه المحبة أيضاً غلط من جانبين :

الأول : من جانب من غلوا في محبة ذاته الشريفة حتى نسبوا له بعض صفات الربوبية كعلم الغيب ، ودفع الضر، وصرفوا له بعض حقوق الألوهية من دعاء أو استغاثة فأنزلوه منزلة الإله المعبود ، حتى قال قائلهم :

فإن من جودك الدنيا وضرتها ومن علومك علم اللوح والقلم

---

[1] البداية والنهاية [٤ / ٤٨] .

أو شغلوا أنفسهم بالتركيز على تمجيد أوصافه ﷺ البدنية شعراً ونثراً ، وظنوا أن مجرد المحبة القلبية تكفي عن اتباعه أو لزوم شرعه فتهاونوا في ذلك . وهؤلاء هم الصوفية على اختلافهم .

وهذا الغلو قد يصل إلى الشرك وإلى محبته مع الله كما وقع النصارى في محبة عيسى مع الله بسبب الغلو فيه ، فاتخذوه إلهاً من دون الله كما أخبر تعالى عنهم فقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ (المائدة : ١١٦)[1] .

وقد يكون هذا الغلو بدرجة أقل فيوقع في البدع كما وقع كثير من المسلمين في بدع الموالد والتوسل القولي به ﷺ بحجة محبته.

- ومجرد المحبة دون الاتباع لا تكفي ليكون المرء مسلماً كما وقع لأبي طالب مع محبته للنبي ﷺ فهو كافر في النار والعياذ بالله .

والثاني : من جانب من أهملوا المحبة القلبية وفسروها بالاتباع فقط[2] .

---

[1] كشف الشبهات مع مجموعة التوحيد [ص ١٠٨] .

[2] انظر:فتح الملهم [١/١١٢] إرشاد الساري [١/ ٩٨] ، فتح المبدي [١/ ٥٢].

وفي الحقيقة فإن الطاعة والاتباع فرع عن المحبة ولا تكون تامة إلا مع محبة المتبوع ولو لم تكن محبته ﷺ طاعة مقصودة لما جاءت النصوص بالأمر بها .

لوازم محبته ﷺ

١ – أن يعلم المسلم أن حقه ﷺ آكد عليه من حق نفسه ، ومن حق والده وولده والناس أجمعين [١] حيث جعل سبحانه محبته ﷺ من محبته وطاعته من طاعته .

٢ – تقديمه ﷺ على النفس والأهل والمال [٢] ومقتضاه أن يجعل نفسه وأهله وولده فداء له ﷺ في حياته ، وفداء لسنته بعد مماته [٣] وكذلك إجلاله وتعظيمه في القلب وتوقيره [٤] وتفضيله على كل المخلوقين .

٣ – تقديم حكمه وقوله على حكم وقول كل أحد وذلك يتجلى في أمرين :

---

(١) الكواكب الدراري للكرماني [١ /٩٩] فتح الباري [١٠ / ٤٦٣].

(٢) مجموع الفتاوى [١ / ٦٨] .

(٣) صفوة الآثار [٤ / ١١٠] .

(٤) الفتاوى [١ / ٦٨] .

أ – أن يكون حكمه وقوله أنفذ على المؤمن من حكم نفسه وحكم أي حاكم على الإطلاق لقوله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) .

ويعني ثلاثة أمور : تحكيمه والرضى بحكمه ، والتسليم له ابتداء .

ب – رد ما يتنازع فيه إليه في حياته وإلى سنته ﷺ بعد وفاته(٢) وذلك في جمع شؤون الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية الفردية والجماعية ، وهذان الأمران فرض على كل مسلم ، قال ابن القيم(٣) : " إن الأولى في قوله تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ تتضمن أن لا يكون للعبد حكم على نفسه اصلا بل الحكم للرسول ﷺ يحكم عليها أعظم من حكم السيد أو الوالد ."

٤ – الإيمان بأن هديه ﷺ أكمل الهدي ، وشريعته أكمل الشرائع فلا يتقدم عليها تشريع أو نظام مهما كان مصدره (٤)

---

(١) صفوة الآثار [٤ / ١١٠] .

(٢) مجموع الفتاوى [١ / ٦٦] .

(٣) في الرسالة التبوكية [٣٨] .

(٤) حقوق دعت اليها الفطرة [ص١٦] .

٥ – المتابعة لأمره ونهيه والموافقة لحبه وبغضه وحصر الإقتداء به في الأقوال والأعمال والأخلاق [١] ابتغاء مرضاة الله ومحبة له، كما فعل السلف من الصحابة رضوان الله عليهم لما بلغهم أمره ﷺ بإهراق الخمر وكانت محبوبة لديهم أسرعوا لكسر زقاقها وإهراقها في شوارع المدينة رضوان الله عليهم، وكما فعلت نساء الأنصار رضوان الله عليهم وعليهن لما نزلت آية الحجاب شققن مروطهن فاختمرن بها ، ولم ينتظرن توفر القماش لتنفيذ حكم الله ورسوله ﷺ.

٦ – كراهة البدع في دين الله سواء كانت اعتقادية أو عملية أو قولية لأن في البدعة جناية على شريعته ﷺ لما فيها من التقدم عليه وإدخال ما ليس من شريعته ، والتهمه له ﷺ بعدم إتمام تبليغ الشرع [٢] .

٧ – نصره ﷺ والدفاع عن شريعته وهديه بما يستطيع الإنسان من قوة بحسب ما يتطلبه الحال من السلاح فإذا كان العدو يهاجم بالحجج والشبه فمدافعته بالعلم ودحض حججه وشبهه وبيان فسادها ، وإن كان يهاجم بالسلاح فمدافعته

---

[١] صفوة الآثار [٤ / ١٠٩] .

[٢] من شريط [كيف تعبر عن محبة النبي ﷺ] للشيخ ابن عثيمين .

بمثله ، ولا يمكن لأي مؤمن أن يسمع من يهاجم شريعة النبي ﷺ أو شخصه الكريم ويسكت عن ذلك مع قدرته على الدفاع [١] .

أسباب محبته ﷺ

١ – لأنه رسول الله ومبلغ شرعه فإذا كان الله أحب إلى المسلم من كل شيء فرسوله ﷺ أحب اليه من كل مخلوق [٢] .

وإذا علم العبد ما قام به ﷺ من الصبر في تبليغ الرسالة ودعوة الناس حتى أنه بذل نفسه وكل ما يملك في سبيل هداية الناس مشركين وأهل كتاب قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(الكهف:٦).

وما وجده من أذى قومه وعنت اليهود وهو يدعوهم كما قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾ وهو مع ذلك كله يدعو لهم ويقول : (**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**) .

كل ذلك يوجب محبته والاقتداء به وامتثال أمره ونهيه ومجاهدة النفس في ذلك .

---

(١) حقوق دعت اليها الفطرة [ص ١٧] .

(٢) شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين [ص ٣٨٠] .

٢ – لأن الإنسان مجبول على محبة نفسه ومحبة الخير لها ومحبة بقائها في النعيم فإذا علم أن الخير والنعيم في الدنيا هو في اتباع الإسلام دين الله الذي لا يقبل سواه وأن البقاء في النعيم الحقيقي الدائم إنما يكون في الجنة ، وأن سبب هداية البشر إلى دين الله ومن ثم إلى النعيم الدنيوي والأخروي هو الرسول ﷺ الذي أدى الأمانة وبلغ الرسالة وجاهد في ذلك حق الجهاد فهو قد جمع أنواع الفضائل والإحسان إلينا بهدايتنا لصراط الله المستقيم وإبعادنا عن الجحيم ، جحيم الكفر في الدنيا، وجحيم النار في الآخرة [١].

كل ذلك النفع العاجل والآجل ودفع ذلك الضر العاجل والآجل إنما وصلنا بفضل الله ثم بفضل رسول الله ﷺ فكيف لا يحب محبة أكثر من النفس والنفيس .

ونأمل أي نفع أخر يأتي من أي إنسان تجد أنه إما خير مستمد من نفع الرسول ﷺ أو نفع مادي لا يساوي شيئاً في بحر إحسانه ﷺ إلى أمته . لأن الهدى من الضلال والخلاص من النار إنما كان بالله على لسان رسول الله ﷺ [٢] .

---

[١] المرجع السابق .

[٢] فتح الباري [١٠ / ٤٦٣] .

٣ – كما أن الإنسان بطبعه يحب أوصاف الكمال الخُلقي والخَلقي ويميل إلى صاحبها فكيف بمن جمع أوصاف الكمال الإنساني خلقاً وخلقة لما حباه الله تعالى من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال [١] حتى وصفه تبارك وتعالى بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وقد كان أحد المشركين يأتي وهو شديد البغض له ﷺ مما سمع عنه من الكفار فما يكاد يتعامل معه حتى يحبه أشد الحب فيكون أحب الخلق إليه .

وقد جمع ﷺ الكمال الإنساني بكل اعتبار ففي خلقه مهابة وحلاوة وقد كان وجهة كالقمر بل أبهى وأجمل وكأن الشمس تجري في جبهته كما وصفه أبو هريرة رضي الله عنه [٢] .

أهمية محبته ﷺ :

لمحبته ﷺ أهمية عظمى في دين الإسلام لما يلي : [٣] .

١ – أنها شرط أساسي من شروط الإيمان كما قال ﷺ : (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين) .

---

[١] فتح الملهم (١ / ١٠٩ ، ١١٢) عمدة القاري (١ / ١٤٦) .

[٢] أخرجه البيهقي في الدلائل (١ / ٤٢٥).

[٣] انظر الأخلاق الإسلامية ص [٢٦٠] .

٢ – وأنها سبب لحصول حلاوة الإيمان كما صرح به حديث (ثلاث من كن فيه) .

٣ – وأنها سبب لمرافقته ﷺ في دار النعيم إذا (المرء مع من أحب) [(١)] .

درجات محبته ﷺ

محبة الرسول ﷺ على درجتين [(٢)]

الأولى : فرض لازم :

وهي المحبة التي تقتضي قبول ما جاء به من عند الله وتلقيه بالمحبة والتعظيم والرضا والتسليم ، وعدم طلب الهدى من غير طريقة بالكلية ثم حسن الاتباع له فيما بلغه عن ربه بتصديقه وطاعته والإنتهاء عما نهى عنه ونصرة دينه والجهاد لمن خالفه بحسب القدرة وهذا واجب لا يتم الإيمان بدونه .

---

(١) أخرجه الشيخان انظر : صحيح البخاري كتاب الأدب باب علامة الحب في الله [١٠ / ٥٧٧] ومسلم كتاب البر والصلة [٤ / ٢٠٣٤] عن عبد الله بن مسعود .

(٢) انظر : شرح ثلاثيات مسند أحمد ص ٦١٧ وانظر ايضا جامع العلوم والحكم (٣٩٥ – ٣٩٦) .

الثانية : فضل :

وهي المحبة التي تقتضي حسن التأسي به ، وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وأدابه ونوافله وتطوعاته والاعتناء بمعرفة سيرته ﷺ وكثرة الصلاة عليه ، ومحبة استماع كلامه ، وايثاره على كلام غيره من المخلوقين .

علامات محبته ﷺ .

إن محبته ﷺ ليست كلمات تقال وقصائد تغنى أو مجرد مشاعر في القلب بل لابد لها من حقيقة يظهر أثرها في واقع الإنسان وسلوكه .

فمن العلامات والآثار التي تدل على محبته ﷺ مايلي:

١ - تقديم قوله على قول كل أحد وتقديمه على كل نفس ويتجلى هذا في :

- إجلاله ﷺ وتعظيمه التعظيم اللائق به فهو عبد الله ورسوله وخليله وذلك بالتأدب عند الحديث عنه ووصفه بما يجب أن يوصف به وقد قال ﷺ (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم فإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله)[1] .

---

[1] أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء : باب قول الله تعالى : (واذكر في الكتاب مريم إذ انتبذت من أهلها) [٦ / ٤٧٨] .

- التأدب مع سنته القولية والفعلية كما فعل أبو بكر رضي الله عنه لما أخبره الناس بأن محمدا ﷺ أخبرهم بأنه أسرى به إلى بيت المقدس ليلا وهو قد أصبح بينهم فقال (إن كان قاله فلقد صدق)[1] .
- وقد كان التابعون والسلف الصالح يتأدبون في مجالس التحديث بحديثه ﷺ كما يتأدب الصحابة بين يديه ، فلا يرفعون أصواتهم ، ولا يتجادلون في حديثه ﷺ .
- ومن التأدب مع سنته ﷺ إمرار أحاديث الصفات على ما هي عليه دون تحريف أو تعطيل أو تكييف .
- ومنه تقديم ظاهر النصوص على أقوال الرجال وتأويلاتهم مهما بلغوا من العلم إذا عارض كلامهم مقتضى كلام رسول الله ﷺ .

٢- طاعته فيما أمر من واجبات ومستحبات والاحتكام إلى شرعه .

٣- اجتناب ما نهي عنه والبعد عما كرهه إذ المعصية لا تتناسب مع دعوى المحبة .

٤- اتباع هديه ﷺ في أخلاقه ومعاملاته في سائر شئون حياته وقد قال ﷺ **{والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون**

---

[1] البداية والنهاية [٣ / ١١١] .

هواه تبعاً لما جئت به} وهو حسن لشواهده [١] . وشواهد ذلك من حياة الصحابة رضي الله عنهم أنه ﷺ خلع يوما خاتمه فخلعوا خواتيمهم ، وخلع نعاله فخلعوها وكلما كان الإنسان أكثر حباً كان أكثر اتباعا بحيث يقتصر على شرعه دون تقصير ولا مغالاة فيه [٢] .

٥- نصرة دينه بالقول والفعل ، والذب عن شريعته [٣] والحرص على نشر سنته ﷺ .

٦- محاربة البدع وبغضها والتحذير منها فإن هذا من محبة السنة لأن كل بدعة تحيا تموت بسببها سنة .

٧- كثرة الصلاة والسلام عليه على الدوام ، فمن أحب شيئاً أولع بذكره ونفع الصلاة حاصل لنا ويزيد الله نبيه ﷺ شرفاً ورفعة قال ﷺ :{**من صلى عليَّ صلاة صلى الله عليه بها عشراً**} [٤] وأولى الناس به ﷺ يوم القيامة أكثرهم عليه

---

[١] رواه البغوي في شرح السنة (١/٢١٣) ، وانظر : جامع العلوم والحكم (٣٩٣) .

[٢] [كيف نعبر عن محبة الرسول ﷺ] للشيخ ابن عثيمين .

[٣] فتح الباري [١٠/٤٦٣] .

[٤] اخرجه الترمذي في أبواب الصلاة : باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي ﷺ [٢/٣٥٥] وقال [حسن صحيح] وانظر صحيح الجامع الصغير [٢/١٠٨٨] رقم [٦٣٥٨] بلفظ [من صلى عليَّ واحدة ..] .

صلاة حيث هو أولاهم بشفاعته وقربه ومصاحبته ، ومن صرف وقته في الصلاة عليه ﷺ كفاه الله همه ويسر أمره وتأكد الصلاة عليه ﷺ في الصباح والمساء وفي كل مجلس ، ويوم الجمعة . والبخيل من ذكر عنده ﷺ فلم يصل عليه .

٨- الشوق إلى رؤيته ﷺ وتمني حضور حياته ليبذل نفسه وماله دونه ، ولفقد رؤيته أعز عليه من فقدان أي شيء .

٩- طلب العلم الموصل إلى معرفة هدية ﷺ وشرعه وسيرته حتى يكون المرء موافقاً له في أفعاله وأقواله .

١٠- حب آله عليه الصلاة والسلام دون غلو ولا تقصير .

١١- حب الصحابة رضوان الله عليهم ومعرفة حقهم اكراماً له صلى الله عليه وسلم والكف عما شجر بينهم فلا يخوض فيه[١] لقوله صلى الله عليه وسلم (الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي [٢]) يعني هدفاً ترمونهم بالتنقيص أو السب والشتم والحديث حسن لشواهده .

١٢- رعاية العلماء لأنهم ورثة الأنبياء وتقديرهم واحترامهم من احترام الشرع .

---

(١) مأخوذ من شريط كيف تعبر عن محبة الرسول ﷺ للشيخ ابن عثيمين .

(٢) مسند أحمد [٥/٥٤] .

١٣- رعاية الحقوق التي تعهدها صلى الله عليه وسلم كحقوق الجيران والفقراء والمساكين [١].

لماذا قرنت محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحبة الله تعالي ؟

الجواب على ذلك :

لأن محبة الرسول صلى الله عليه وسلم تجتمع فيها كل العبادات [٢] وكل طاعات الله تبارك وتعالى ، وذلك أن الرسول هو الذي يدعونا إلى ما يحبه وليس شئ يحبه الله إلا والرسول يدعو إليه وليس شئ يدعونا إليه الرسول صلي الله عليه وسلم إلا والله يحبه فصار محبوب الرب ومدعو الرسول متلازمين [٣] فلهذا كانت محبته صلي الله عليه وسلم من محبة الله وقرنت بها في الخصلة الأولى من الحديث .

(فإذا غرست شجرة المحبة في القلب وسقيت بماء الإخلاص ومتابعة الحبيب صلي الله عليه وسلم أثمرت أنواع الثمار أكلها

---

[١] مأخوذ من شريط [كيف تعبر عن محبة الرسول صلي الله عليه وسلم] -للشيخ ابن عثيمين .

[٢] من هدي النبوة [ص ٢١٩] .

[٣] مجموع الفتاوى (٨ / ٣٦٠) .

كل حين بإذن ربها أصلها ثابت في قرار القلب وفرعها متصل بسدرة المنتهي)[١] .

وكل مسلم في قلبه محبة الله ورسوله صلي الله عليه وسلم ولكن الناس متفاوتون في محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم بحسب استحضار ما وصل إليهم من جهته من وجوه النفع الشامل لخير الدارين وبحسب الغفلة عن ذلك[٢] .

وإذا أراد الإنسان أن يقف يقيناً علي مقدار ما في قلبه من المحبة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم فليعرض أقواله وأفعاله وأحواله على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الصحيحة فإن وافقتهما كان ذلك دليلاً علي صدق محبته وقوتها وإن خالفتهما دل علي نقص محبته لهما بقدر تلك المخالفة [٣]

الخصلة الثانية

{وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله }

وعند النسائي :(أن يحب في الله وأن يبغض في الله)[٤] .

---

(١) مدارج السالكين (٩/٣) .

(٢) فتح الملهم (١١٢/١) .

(٣) انظر : (عشرون حديثاً من صحيح البخاري) [ص ١٦٦] بتصرف يسير .

(٤) سبق تخريجها ص٧ .

معناها والمراد بها :

الشرط الثاني من شروط تحصيل حلاوة الإيمان والتنعم بسعادته هو أهم لوازم محبة الله ورسوله فمتى أحب العبد ربه محبة تامة استلزم ذلك موافقته في محبوبه ومكروهه وولايته وعداوته . وهذا معنى قوله صلي الله عليه وسلم (وأن يحب في الله وأن يبغض في الله) وهذه تعم كل محبوب وكل مكروه بينما تخص رواية الحديث الأخرى محبة الناس خاصة على هذا الشرط لما لهذه المحبة من أهمية سيأتي بيانها إن شاء الله ولخطورة أمر الانحراف في محبة العبد للناس على إيمان المسلم وتوحيده لله تبارك وتعالى حيث عبر ﷺ عنها بقوله : وأن يحب المرء لايحبه إلا لله . فهذه الخصلة هي أول لوازم الخصلة الأولى وثمرتها ولأجل تلك الخطورة تجاه التعبير دقيقا وواضحاً بأسلوب القصر مستعملاً النفي والاستثناء (لا يحبه إلا لله) والمعني :لا تكون محبته له إلا في ذات الله تعالى أي لأجل الله تعالى وتضمن هذا التعبير نفياً وإثباتاً :

نفي :كل شائبة تشوب ذلك الحب من هوى أو حظ نفس أو قرابة أو غرض من الأغراض الدنيوية كالحصول على نفع مالي

أو معنوي أو حظوة أو مصلحة أخرى أو رياء أو غيرة[١] .

فكل محبة شابها شئ من ذلك فليست محبة في الله ولا تنتج حلاوة الإيمان .

وإثبات :غرض واحد من هذه المحبة وهو إخلاص الموافقة لله في محبوبه وإنما :تكون هذه المحبة خالصة لله تبارك وتعالى إذا كان الدافع لها في استشعار أحد المعاني الآتية :

١- امتثال أمر الله تبارك وتعالي ورسوله ﷺ بمحبة أهل ملته وهم المسلمون والتزام الأخوة الإسلامية التي جعلها الله بين أهل الإيمان بقوله تعالى : ﴿ **وأصبحتم بنعمته إخوانا** ﴾ ﴿ **المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض** ﴾ وقوله ﷺ (**وكونوا عباد الله إخواناً**)وقوله ﷺ (**المسلم أخو المسلم**) وقوله ﷺ (**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**) فتكون هذه المحبة واجبة على المسلم تجاه جميع المسلمين الأحياء والأموات وثابتة لكل مؤمن ومؤمنة بمقتضى الإيمان ولو لم يحصل بينهما لقاء والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج، وحقوقها واجبة على المسلم

---

[١] انظر :عمدة القارئ (١٤٦/١) تحفة الأحوذي (٣٧٢/٧) إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد [١٤٢] ، فتح المبدي [٥٦/١] ، حاشية السندي على سنن النسائي[٩٥/٨] ، قطوف [٨٨] .

بمقتضى الإيمان وبمجرد دخوله في الإسلام [١] .

وهي أحد لوازم الولاء والبراء في الإسلام .

ومن مقتضياتها : مساعدة المسلمين عامة على اختلاف أجناسهم وألوانهم وموالاتهم وتفضيلهم على الكفار [٢] .

وتمني الخير لهم والشعور بأحزانهم وكوارثهم والدعاء لهم (وأقل قدر فيها سلامة الصدر من الغل والبغضاء) [٣] .

٢- قيام المرء المخصوص أو الجماعة المخصوصة بمحبوبات الله وطاعته وموافقتهم لشرع نبيه ﷺ إما بأن يكونوا علماء عاملين أو حكاماً عادلين أو عباداً لله صالحين أو مجاهدين أو دعاة فيحبهم لأجل قيامهم بما يرضي الله من الأعمال الصالحة[٤] فمحبتهم خاضعة لمحبة الله ويجمع فيها بين المحبة لأجل الأخوة الإيمانية العامة ،والمحبة لأجل قيامهم بمحبوبات الله خاصة ومحبة محبوب الله من تمام محبة الله [وهذه تشمل جميع عباد الله الصالحين المتبعين لسنة نبيه ﷺ فتحبهم وتواليهم ولا يمنع هذا أن يتخذ المسلم منهم إخوانا أصدقاء في الله تعالى يخصهم بمزيد محبة ووداد].

---

[١] انظر مجموع الفتاوى (١٠١/١١).

[٢] انظر صفوة الآثار (١١١/٤).

[٣] من شريط [الأرواح جنود مجندة] للشيخ سلمان العودة .

[٤] انظر : تيسير العزيز الحميد (٤٤٧) ، إفادة المستفيد [١٤٢] .

الأصل في جوازه قوله ﷺ [الأروح جنـود مجنـدة مـا تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف .] والحب هنـا مزيد أنس ومودة فالأرواح جنود مجندة يميل الإنسان إلى إلفـه ونظيره ويرتاح إليه ،ويأنس به [1] .

إنما تكون هذه المحبة خالصة لله إذا وقع التحاب والتـآلف بالإيمان والعمل الصالح قال تعالى :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمْ الرَّحْمَـنُ وُدًّا ﴾ أي يلقي بينهم المودة فيحب بعضهم بعضاً ويـتراحمون ويتعاطفون بما جعل الله لبعضهم في قلوب بعض من المحبـة .

قال ابن عباس : حبهم ويحببهم إي عباده [2] .

كيف تحصل المحبة في الله :

والأصل في هذه المحبة أن يوجه العبد كل عاطفة وميـل في نفسه حتى تنسجم وتتلاءم مع محبته لربه ،وكلما كـان قلبـه مفعماً بحب الله لم تدخله محبة سواه إلا وتصبغ بهـذه الصبغـة الربانية فتكون علاقاته بالناس وعواطفه نحوهم أساسها محبـة

---

(١) من شريط [الأرواح جنود مجندة] .

(٢) إغاثة اللهفان {١٥٤/٢} .

الله [١] ومحبة كل ما يحبه الله ورسوله فإذا رأى الإنسان المطيع لربه القائم بأوامره الذي يقرأ في وجهه علامات الخشوع والإخبات والإيمان والانقياد لله عز وجل أحبه لا لسبب إلا لأنه يحب الله ورسوله فيما يعتقد [٢] .

ويعلم أن الله تعالى يثيبه على محبة من يحبه الله ورسوله وإن لم يعلم حقيقة باطنه [٣] .

حكم المحبة في الله :

المحبة من شروط الإيمان كما في قوله ﷺ : { **لا تدخلوا في الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا** }[٤] فهي من حقوق الإيمان الواجبة كما دلت عليه النصوص وقرره العلماء[٥] وقد قال الإمام مالك : المحبة في الله من واجبات الإسلام [٦] بل لا يتم إيمان المسلم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه كما دل عليه الحديث .

---

[١] انظر قطوف من رياض السنة { ١٥٠ } .

[٢] من شريط : الأرواح جنود مجندة للشيخ سلمان العودة .

[٣] الفتاوى { ١٨/٣١٥ } .

[٤] صحيح مسلم : كتاب الإيمان { ١/٧٤ } .

[٥] انظر فتاوى ابن تيمية [١١/١٠١] .

[٦] انظر : عمدة القاري [١/١٤٦] .

لوازم المحبة في الله وحقوقها :

وهي على ضربين :

١- حقوق عامة :

ثابتة لكل مسلم بمقتضى أخوة الإسلام والمحبة الإيمانية ، وهي الحقوق التي قررها قوله تعالى ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا ﴾ (الحجرات :١١-١٢) وقوله ﷺ { **حق المسلم على المسلم ست : إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعده ، وإذا مات فأتبعه** } أخرجه مسلم [(١)]

وقوله ﷺ { **إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ، ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً** } .

---

(١) صحيح مسلم [٤/٢٧٠٥] .

وفي رواية { ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ، وكونوا عباد الله إخواناً}.

وفي رواية {ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال} كلها عند البخاري [١] .

وفي رواية {كونوا عباد الله إخواناً المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يكذبه ولا يحقره التقوى ها هنا - ويشير إلى صدره ثلاث مرات يحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم ، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه } أخرجه مسلم [٢] .

وقوله ﷺ {لايقيمن أحدكم الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ولكن تفسحوا وتوسعوا } رواه البخاري ومسلم .

وقوله ﷺ { إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر حتى تختلطوا بالناس أجل أن ذلك يحزنه } أي {من أجل أن} رواه البخاري ومسلم .

وقوله ﷺ{انصر أخاك ظالما أو مظلوماً فإن كان ظالماً فلينهه،

---

[١] في كتاب الأدب : باب ما ينهي عن التحاسد والتباغض وباب ما ينهى عن الهجرة . الصحيح مع الفتح [١٠/٤٨١] .

[٢] صحيح مسلم بشرح النووي [١٦/١١٥] في كتاب البر والصلة والآداب .

فإنه له نصر وإن كان مظلوماً فلينصره } رواه مسلم[١] .

ويجمعها قوله ﷺ **{لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه }** .

وتشير هذه النصوص إلى الحقوق الآتية :

١- أن تحب لهم ما تحب لنفسك من خير الدنيا والآخرة .

٢- كف الأذى المباشر وغير المباشر القولي والفعلي عن المسلمين عامة .

٣- إفشاء السلام للمسلمين عامة .

٤- النصح للمسلمين عامة بالصدق في التعامل معهم، والنصيحة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

٥- تشميت العاطس .

٦- عيادة المريض ، واتباع الجنازة .

٧- إجابة الدعوة .

٨- النصرة والموالاة ، ويدخل فيها إصلاح ذات البين .

وفي كف الأذى يدخل النهي عن ظن السوء والسخرية واللمز والتنابز بالألقاب والتجسس والتحاسد والتباغض والتدابر والهجر فوق ثلاث إلا لمصلحة شرعية والتحقير

---

[١] صحيح مسلم [٤/١٩٩٨] .

والمناجاة المؤذية وإقامة الرجل عن مجلسه ، والتعدي على دمه أو ماله أو عرضه .
كل ذلك محرم على المسلم تجاه أخيه المسلم . والله تعالى أعلم .

٢ـ حقوق خاصة :

هناك حقوق خاصة للمتحابين في الله بالإضافة إلى الحقوق الأخوية العامة وهي :

١ـ المواساة بالمال وأعلاها الإيثار بحيث تنزله منزلة نفسك ولا تحوجه إلى السؤال [١] كما قال تعالى في الثناء على الأنصار ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ (الحشر :٩)

وقد ضرب الأنصار مع إخوانهم المهاجرين أروع المثل في أعلى درجات المحبة في الله حيث ما نزل مهاجري على أنصاري إلا بقرعة لتسابقهم في استضافتهم وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال { لقد رأيتنا على عهد رسول الله ﷺ وما منا أحد يرى أنه أحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم}.

---

[١] انظر الأخوة جاسم بن محمد بن مهلهل [ص ٥٤ ، ٥٥] .

٢- الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات والقيام بها قبل السؤال[١] لقوله ﷺ (المؤمن مرآة أخيه والمؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته ويحوطه من ورائه)[٢] وفي الحديث القدسي الصحيح : (وجبت محبتي للمتحابين فيّ، والمتجالسين فيّ والمتزاورين في والمتباذلين فيّ).[٣]

٣- أن يتحمل الإنسان ما قد يترتب على هذه المحبة من أذى لأن الأخوة تحتاج إلى صبر ومصابرة ومجاهدة فالأمر ليس سفراً قاصداً ولا نزهة قصيرة بل هو طريق تجذب السائر فيه زينة الحياة وترهبه سطوة من أعماه الله واتبع هواه[٤] وهذه المجاهدة في سبيل بقاء المحبة في الله وحمايتها من الزوال يثاب عليها المسلم لأنها مجاهدة في الطاعة وقد قال تعالى {والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا } لأنها من التعاون على البر

---

(١) الأخوة [٥٤، ٥٥] .

(٢) أخرجه أبو داود في سننه والبخاري في الأدب المفرد [٢٣٩]وحسنه العراقي انظر جامع العلوم والحكم [٢٨٣/١] .

(٣) الموطأ للإمام مالك [٥٩٤/٢] .

(٤) الأخوة / حاسم مهلهل [٨٢/٨١] .

والتقوى [وفي هذا يقول عمر رضي الله عنه : إذا رأيت من أخيك ودا فتمسك به [١]] .

٤- الوفاء والإخلاص لله فيها وذلك بالثبات على الحب في الله ، و إدامته إلى الموت وبعد الموت مع أولاده وأصدقائه لأن الحب إنما يراد للآخرة وعلامة هذا الوفاء أن لا يتغير حال المحبة بتغير أحوال الإنسان الاجتماعية أو وظائفه وجاهه [٢] .

٥- الدعاء له بظهر الغيب ولمن يتعلق به بخير كما يدعو لنفسه ولمن يتعلق به من أهل وإخوة [٣] .

٦- التخفيف وترك التكلف وتمامها أن تكون مع أخيك كما تكون وحدك [٤] ولا يتعارض هذا مع حفظ قدره .

٧- تعهده بالنصح وحده فالمؤمن مرآة أخيه والإخلاص في ذلك والتلطف فيه مع مراعاة آداب النصيحة فإذا تغير حاله لا ينبغي هجره أو تركه لأن المرء قد يعوج مرة ويستقيم أخرى .

---

[١] الأخوة [٢٣] .

[٢] المرجع نفسه [٦١] .

[٣] الأخوة الإسلامية وأثارها / عبد الله الجار الله [٥٤] .

[٤] الأخوة [٦٢] .

٨- النطق بالمحاب كأن تدعوه بأحب أسمائه إليه ومن ذلك الثناء عليه بما يستحق في غير وجهه والدفاع عنه في غيبته [١] ومن ذلك ترك المماراة والجدال عند الاختلاف.

٩- العفوعن الزلات والهفوات عند التقصير في حق من حقوق الأخوة [٢] .

١٠- التزاور في الله وذلك بتخول الزيارة فالإقلال منها مخل ويقسى القلوب [٣] وقد قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي (وجبت محبتي للمتحابين فيّ والمتجالسين فيّ والمتزاورين فيّ) [٤].

١١- ألا تكلفه ما يشق عليه .

أهمية المحبة في الله :

تنبع أهمية المحبة في الله من كونها أحد لوازم محبة الله تبارك وتعالى وأحد شروط الإيمان به كما أنها [أصل عظيم في هناء واستكمال التعاطف بين العباد ولا يكون ذلك إلا إذا صفت

---

[١] انظر فتح المجيد [٣٥١] .

[٢] الأخوة [٦٠] .

[٣] الموطأ [٢/٩٥٤] .

[٤] الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنة [ص ٢٠] .

النفوس وخلصت من أدر إن الأهواء والشهوات وأحب المرء أخاه لا يحبه لمال يبتغيه ولا لغرض يستهدفه بل لذات الله فهي فرع من محبة العبد لله ولذلك فهي لا تكون إلا بين الاخيار][1].

كما أن المحبة في الله ذات أهمية خاصة في استقامة العبد واستمرار ثباته على طريق الحق لأن العبد إذا أحب أهل الخير لا يحبهم إلا لله رأيته منضماً إليهم حريصاً على مجالستهم والاقتداء بأعمالهم واكتساب سمتهم والتعلم منهم.

علامات المحبة في الله :

تتميز المحبة في الله بعلامات تميزها عن المحبة مع الله وعن المحبة لغير الله [المحبة العاطفية] ومن أهم علاماتها :

١- أنها تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وكلما زاد إيمان العبد زاد حبه لما يحب الله .

٢- أنها ليس فيها شئ من شوائب الشرك من الاعتماد على المحبوب ورجائه في حصول مرغوب أو دفع مرهوب [2].

---

[1] من هدي النبوة [١٣٣] .

[2] انظر فتح المجيد [٣٥١] .

٣- أنها سريع اتصالها بطئ انقطاعها لأن هذا الحب خالص لوجه الله فهو متصل لا ينقطع وكل حب سواه فهو مقطوع إذ حب الحاجة مقطوع بانقضائها وحب المال مقطوع ومنته بنفاده وحب الدنيا مقطوع بزوالها أما الحب في الله فهو باق في الدنيا والآخرة [١] .

فما كان لله دام واتصل وماكان لغيره انقطع وانفصل ثم إن من ودك لشئ ولى عند انقضائه .

٤- أنها تزيد بزيادة طاعة المحبوب لربه وكمال اتباعه لسنة نبيه ﷺ وتنقص بنقصهما .

وقد قيل إن علامة الحب في الله أنه لا يزيد بالبر ولا ينقص بالجفاء [٢] ولكن هذا ينافي طبيعة الإنسان التي جبل عليها فكل محبة بين البشر تتغير بالجفاء وتزداد بالبر والصلة وإنما تتميز المحبة لله بحسن الظن بالأخ المسلم ،والعفو عن الزلات والستر والنصح عند المعاصي .

٥- ومن علاماتها دفق الشعور بمحبة المسلمين كلهم والحزن بكوارثهم والفرح لمسراتهم .

---

[١] قطوف من الأدب النبوي [٨٨] .

[٢] هو قول يحيى بن معاذ انظر فتح الباري [٦٢] وتأوله له ابن القيم في مدارج السالكين [١٦/٣] .

٦- الحرص على الوفاء بحقوقها تقرباً وطاعة لله تعالى .

٧- إذا قوي الحب في الله فإن من علامته أن يحب المرء كل من يقوم بحق عبادة الله في علم أو عمل وأن يحب كل من فيه صفة مرضية عندالله من خلق حسن أو تأدب بآداب الشرع[١].

ثمار المحبة لله وفضائلها :

إن المحبة لله من أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله والله تعالى شكور كريم يعطي المتقرب أضعاف مابذل في الدنيا والآخرة[٢] ولهذا يجني العبد ثمار هذه المحبة الخالصة لله سريعاً في الدنيا وفي الآخرة .

ففي الدنيا :

١- ينال بها المؤمن كمال الإيمان والتوحيد [٣] وهو طريق السعادتين في الدنيا والآخرة كما قال ﷺ{ **لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا**}ولأن من أحب لله وأبغض لله فقد استكمل الإيمان .

---

[١] من هدي النبوة [١٣٥] فتح الملهم [١١١/١] .

[٢] بهجة قلوب الأبرار [٨٤] .

[٣] انظر الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنة [٢٦] .

٢- يتذوق بها حلاوة الإيمان فهي شرط للإحساس بحلاوة الإيمان ونعيمه في الدنيا [١] .

٣- الظفر بمحبة الله في الدنيا ونعيمها حيث قال سبحانه وتعالى في الحديث القدسي { وجبت محبتي للمتحابين فيَّ } . وبهذا ينال ولاية الله تعالى ويكون من أوليائه الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون لأن من أحب الله وأحب مايحبه الله كان من أولياء الله [٢] .

٤- ينال نعيم الأنس بالاجتماع مع الإخوان على الخير والتعاون على البر والتقوى والتواصي بالحق والصبر .

وجماع هذه الفضائل كلها أن ينعم الإنسان بالثبات على الهداية إلى الصراط المستقيم صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء حتى يلقى الله على ذلك نسأله تعالى بأسمائه وصفاته أن يبلغنا ذلك برحمته وكرمه إنه تعالى جواد كريم .

في الآخرة :

١- الاستظلال تحت ظل الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين كما ثبت في حديث السبعة الذين يظلهم في ظله يوم

---

(١) انظر قطوف من رياض السنة [١٥٠]

(٢) انظر : مجموع الفتاوى [١٨/ ٣١٥] .

لا ظل إلا ظله ومنهم { رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه } .

٢- أن يرزقه الله تعالى ثواب ما أحبه من طاعات الصالحين؛ لأنه إنما أحبهم من أجل محبتها فيحشره في زمرتهم وإن لم يعمل عملهم فيلحقه تعالى بمن أحب وإن قصر عمله قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ﴾ (سورة النساء :٦٩) [١].

وقد ثبت في صحيح البخاري [٢] {أن رجلا سأل النبي ﷺ متى الساعة يا رسول الله ؟ قال ما أعددت لها ؟ قال ما أعددت لها من كثير صلاة ولاصوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله قال : أنت مع من أحببت } وفيه { جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول في رجل أحب قوماً و لم يلحق بهم ؟ فقال ﷺ : المرء مع من أحب } .

قال الحسن رحمه الله في معنى قوله ﷺ { المرء مع من أحب }: إن من أحب قوماً اتبع آثارهم ولن يلحق المرء بالأبرار حتى يتبع آثارهم ، ويأخذ بهديهم ، ويقتدي بسنتهم ، ويصبح

---

[١] بهجة قلوب الأبرار { ٣١٧] .

[٢] صحيح البخاري : كتاب الأدب : باب علامة الحب في الله [١٠/٥٥٧] .

ويمسي وهو على منهاجهم حريصاً على أن يكون منهم فيسلك سبيلهم ما استطاع ويأخذ طريقهم وإن كان مقصراً في العمل فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة .

وقال { أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم وليسوا معهم لأنهم خالفوهم في القول والعمل وسلكوا غير طريقهم فصار موردهم النار نعوذ بالله من ذلك}[1] .

ومعلوم أنه لا يكون المرء محباً للصالحين حقاً محبة لله إلا مع محاولة موافقتهم في الطاعات ما استطاع .

والأصل في نيل محبة الله استيفاء امتثال جميع ما أمر الله ورسوله به لقوله تعالى :

{ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ } غير أنه قد يحصل المرء ذلك باعتقاده محبة امتثال جميع ما أمر به ولو لم يستوف العمل بمقتضاه بل محبة من يعمل ذلك كافية في حصول أصل النجاة والحشر مع العاملين بذلك لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم والمحبة من أعمال القلوب فأثاب الله محبهم على اعتقاده ونيته إذ النية هي الأصل والعمل تابع لها.

---

[1] انظر قوله : في شرح ثلاثيات مسند أحمد [٦١٧] .

ولا يعني كون المرء مع من أحب أن تكون منزلته وجزاؤه مثلهم بل المراد أنه ملحق بهم حتى يكون من زمرتهم لكن منازلهم متفاوته والمعية تحصل بمجرد الاجتماع في شئ ولاتلزم في جميع الأشياء فإذا دخل الجميع الجنة صدقت المعية وإن تفاوتت درجاتهم[1] .

٣- إن المتحابين في الله على منابر من نور يوم القيامة يكرمهم الله بها .

قال ﷺ فيما يرويه عن ربه { قال الله عز وجل : **المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء** }[2]

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال :قالﷺ {يا أيها الناس اسمعوا واعقلوا واعلموا أن لله عز وجل عبادا ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله } فجاء رجل من الأعراب من قاصية الناس وألوي بيده إلى نبي اللهﷺ فقال : يا نبي الله ليسوا بأنبياء ولا شهداء يغبطهم الأنبياء والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله أنعتهم لنا يعني صفهم لنا – فسر وجه رسول اللهﷺ لسؤال الأعرابي فقالﷺ : { هم ناس من أفناء الناس ونوازع القبائل

---

[1] انظر فتح الباري [١٠/٥٥٧]بتصرف .

[2] أخرجه الترمذي كتاب الزهد : باب [في الحب في الله ٤/٥٩٨] .

لم تصل بينهم أرحام متقاربة تحابوا في الله وتصافوا يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها فيجعل وجوههم نوراً وثيابهم نوراً يفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون وهم أولياء الله تعالى الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون }

رواه أحمد وقال المنذري رواه أحمد بإسناد حسن والحاكم وقال صحيح الإسناد [١] .

وسائل تقوية الحب في الله :

هناك عدة أسباب لتقوية المحبة في الله تعالى أرشد إليها ﷺ وهي :

١- إخبار من تحب أنك تحبه في الله :

قال ﷺ { إذا أحب أحدكم أخاه في الله فليبين له فإنه أبقى في الألفة وأثبت في المودة } [٢] .

وفي رواية عند البغوي في شرح السنة { إذا أحب الرجل أخاه فليخبره أنه يحبه } قال : ومعنى الإعلام : هو الحث على التودد

---

(١) مسند أحمد [٣٤٣/٥]وانظر : الفتح الرباني [١٥٨/١٩] (وغبطة الأنبياء لهم ليس معناها : أنهم دونهم ولكن يغبطونهم لأنهم عملوا قليلاً وأجروا كثيراً) من شريط الأرواح جنود مجندة للشيخ سلمان .

(٢) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة [١١٩٩] .

والتآلف وذلك أنه إذا أخبره استمال بذلك قلبه واجتلب بـــه وده [١] .

وعن أنس بن مالك قال : مر رجل بالنبيﷺ وعنده نـــاس فقال رجل ممن عنده {أني لأحب هذا لله } فقـــال النـــبيﷺ أعلمته ؟ قال : لا قال قم إليه فأعلمه فقام إليه فأعلمه فقـــال أحبك الذي أحببتني له ثم قال ثم رجع فسأله النبيﷺ فأخبره بما قال فقال النبيﷺ { أنت مـــع مـــن أحببـــت ولـــك مـــا احتسبت } [٢] .

٢- إفشاء السلام :

لقولهﷺ { لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابوا أولا أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم أفشـــوا الســـلام بينكم} .

٣- البشاشة وطلاقة الوجه :

٤- الهدية : لقولهﷺ { تهادوا تحابوا}.

٥- تخول الزيارة فإن الإقلال منها يقسي القلب والإكثار منها والملازمة يورث الفتور .

---

[١] شرح السنة [٦٧/١٣] .

[٢] المرجع نفسه وقال في الهامش : إسناده حسن وصححه الحاكم ووافقه الذهبي .

٦- **القصد في الحب والبغض قال علي رضي الله عنه:**

{ أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما ، وأبغض بغيضك هوناً ماعسى أن يكون حبيبك يوماً ما }

وكذا قال عمر رضي الله عنه : (لا يكن حبك كلفاً ولا بغضك تلفاً . فقالوا كيف ذاك ؟ قال : إذا أحببت كلفت كما يكلف الصبي وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف) [١].

والمراد به أن لا يكون حبك كلفا أي ولوعا مع شغل قلب ومشقة وكذلك أن لا يكون بغضك شديداً [٢].

٧- **الحرص على الطاعة وترك المعاصي :**

لأن ذلك سبب لاستمرار الود بين الصالحين كما قال تعالى : ﴿ *الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَانُ وُدًّا* ﴾ (سورة مريم ٦٩) .

ولأن الذنوب سبب لقطع حبل المودة في الله فإن الحب في الله رباط ينتظم القلوب بالتواد والتواصل في الله فإذا اجترح العبد أو أخوه ذنباً فإن ذلك يكون سبباً لقطع سبل الوصل مع قلب أخيه فيكون الفراق عقوبة لذلك الذنب.[٣]

---

[١] الأدب المفرد للبخاري [١٩١] صحيح الجامع (١/٩٧) .

[٢] انظر : فضل الله الصمد [٦٩٩/٢] .

[٣] الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنة [٣٠] .

وذلك لقوله ﷺ :

{ ما تواد اثنان في الله عز وجل أوفي الإسلام فيفرق بينهما إلا ذنب يحدثه أحدهما } [١] .

فإذا أحس العبد من أخيه جفاء فليتفقد نفسه ابتداء فإن وجدها اقترفت ذنباً فليتب سريعاً يستقم له ود أخيه [٢] .

محاذير الأخوة في الله [٣]

ينبغي أن يتفطن المسلم لأخطاء ومحاذير مقلقة قد تطرأ على علاقة الأخوة والمحبة في الله ومن أهمها :

١- أن تغلب العادة والألفة على هذه الأخوة فتضعف المحبة في الله ويصبح الاجتماع على الموافقة والألفة والمؤانسة وقضاء الوقت ويضعف الشعور بالمحبة في الله .

ولذا ينبغي تعاهد هذه العلاقة بتجديد الشعور بالمحبة في الله والاجتماع على الغرض الذي من أجله أحب الأخ أخاه في الله حتى يتحقق فيها قوله ﷺ : **{ ورجلان تحابا في الله اجتمعا**

---

[١] مسند أحمد وانظر : الفتح الرباني [١٥٨/١٩] وقال حسن إسناده الهيثمي ، وانظر : صحيح الجامع الصغير [٥٦٠٣] [٩٨١/٢] .

[٢] الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنه [٣٠] .

[٣] وهي مذكورة في شريط [الأرواح جنود مجندة] للشيخ سلمان العودة .

عليه وتفرقا عليه } فلا يغفل عن أنه يؤدي عبادة بحبه لأخيه لما قام به من طاعة الله واتباع لنبيه محمد ﷺ .

ومما يؤدي إلى الوقوع في هذا المحذور كثرة الخلطة، وكثرة المزاح والكلام فينبغي أن يحرص المسلم على اعتدال مخالطته لأخيه بحيث لا تزيد فتتحول المحبة في الله إلى المؤالفة والمؤانسة ولا تقل بحيث تؤدي إلى الجفاء كما ينبغي التوسط في المزاح والاعتدال فيه .

٢- النصرة بالحق وبالباطل فيدخل في هذه العلاقة التعصب الأعمى الذي يؤدي إلى إقرار المسلم على الخطأ أو الباطل وهذا ينافي كون المحبة خالصة لله لأن المحبة الخالصة تقتضي أن يكون الحب للشخص يقوى ويضعف بحسب طاعته لله وموافقته لما يحب الله أو مخالفته له ، وتقتضي أن تكون نصرة الأخ عندما يكون ظالماً بنصحه وبيان خطئه وردعه عن ظلمه .

٣- أن تتحول المحبة في الله إلى تعلق غير محمود سببه الموافقة في أمر يميل إليه الشخص وليس الموافقة لما يرضي الله من الطاعات إما لأنه مثلاً ظريف أو حسن الشكل أو ما أشبه ذلك من المعاني التي لا علاقة لها بقضية التعبد لله والحب لأجل الله .

وأصل هذا الداء ينشأ من تحول المحبة في الله إلى محبة طبيعية عاطفية لغير الله لكنها تزداد وتتحول أحيانا إلى نوع من عبودية القلب لغير الله بحيث تكون محبة مع الله [لأن أصل الغي والفواحش من الحب لغير الله فإنه يضعف الإخلاص ويقوي الشرك فإذا شغف العبد بمحبة المرء بحيث يشتغل قلبه به تعظيما وذلا وخضوعا ويقدم طاعته على طاعة الله ورسوله كان عبدا له وأما إذا اقتصر الأمر على شغفه به بحيث يرضيه وصوله إليه وظفره ويسخطه فواته كان فيه من التعبد بقدر ذلك][1] .

كما نبه الحافظ ابن القيم رحمه الله [2] إلى آفات الأخوة حيث ذكر أن الاجتماع بالإخوان على قسمين :

أحدهما :اجتماع على مؤانسة الطبع وشغل الوقت فهذا مضرته أرجح من منفعته وأقل مافيه أنه يضيع الوقت ويفسد القلب.

والثاني : الاجتماع بهم على التعاون على أسباب النجاة والتواصي بالحق والصبر فهو من أعظم أسباب الغنيمة وأنفعها ولكن **فيه ثلاث آفات** :

١- تزين بعضهم لبعض .

---

[1] انظر إغاثة اللهفان [٢/١٤٩، ١٥١] .

[2] في الفوائد [٥١] .

٢- الكلام والخلطة أكثر من الحاجة .

٣- أن يصير ذلك شهوة وعادة وينقطع بها عن المقصود وبالجملة فالاجتماع والخلطة لقاح إما للنفس الأمارة وإما للنفس المطمئنة والنتيجة مستفادة من اللقاح فمن طاب لقاحه طابت ثمرته وهكذا الأرواح الطيبة لقاحها من الملك والخبيثة لقاحها من الشيطان وقد جعل الله بحكمته الطيبات للطيبين والعكس كذلك .

أما كيف تميز المحبة في الله والمحبة العاطفية[1] :

إن الله تعالى وعد أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ثم إن الحبيب ﷺ أرشد إلى علاج يفيد في هذه المسألة بقوله : استفت قلبك وعليه فلابد للمسلم من وقفة صدق مع قلبه ليميز بها بين محبة ومحبة ويحذر كل الحذر من المحبة العاطفية التي يخشى أن تزيد وتتحول إلى عبودية القلب لغير الله تعالى وهذا مصير بائس إذا وقع المرء فيه فعليه بالمبادرة إلى العلاج بما يلي :

١- حفظ القلب من العوادي وإصلاحه بإيصال المواد الطيبة إليه بالعبادة والذكر لأن النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

---

[1] في شريط [الأرواح جنود مجندة] .

٢- أن لا تنساق وراء أول عاطفة .

٣- أن تلقي بنفسك وسط مجموعة من الصالحين .

٤- تذكر عيوب الشخص المحبوب يخفف من التعلق به.

الفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله :

أ- أما المحبة لله

فهي ما كانت تابعة لمحبة الله ورسوله ومحبة ما يحب الله ورسوله مع كراهة ما يكرهه الله ورسوله فتزداد وتنقص بمقدار موافقة المحبوب لمراضي الله وقيامه بمحبوبات الله ورسوله من الأقوال والأعمال والصفات أو مخالفته فيها وقد يجتمع لنفس الشخص حب وبغض كلاهما في الله بحسب وجود ما يوجب ذلك فيه .

والميزان فيها ليس ذات الشخص المحبوب بل مايقوم به من الطاعة والاتباع لله ورسوله فتزيد بزيادة طاعة المحبوب وبزيادة محبة الله في قلب المحب وتنقص بنقصهما .

ب- أما المحبة لغير الله :

كأن يحب المرء لشئ آخر غير موافقة الله ورسوله وطاعتهما كأن يحبه لموافقة هوى في نفسه فمثلا هو يحب خفة الظل والظرافة ، أو يحب جمال الشكل ، أو يحبه من أجل حظوة

ينالها عنده أو مال يأتيه منه أو لحاجة يقوم له بها أو لعصبية كمحبة أبي طالب للنبي ﷺ وليس لسبب طاعته لله وقد تكون بدايتها كذلك ثم تدخل حظوظ النفس فتحولها لغير الله وهي من أسباب الشرك أو المحبة مع الله إذ أن هذه المحبة قد تزيد فتصل إلى العشق والعياذ بالله أو تأله المحبوب مع الله فتصبح محبة لذاته وهي التي توقع أصحابها في الكفر والفسوق والعصيان ومن أمثلتها حب النصارى للمسيح ، وحب اليهود لعزير ، وحب الرافضة لعلي ، وحب غلاة الصوفية لشيوخهم مثل من يوالي شيخاً أو إماماً وينفر عن نظيره وهما متقاربان في الرتبة أو متساويان [١] .

ج- المحبة مع الله :

هي محبة المحبوب لذاته مقرونة بالخضوع والذل وغاية الإجلال مع طاعته من دون الله ومن علاماتها أن يعتقد المحب في محبوبه شيئاً من صفات الربوبية كالضر والنفع أو يعتمد عليه ويرجوه في حصول المرغوب أو دفع المرهوب وهي محبة مع الله لما فيها من تعلق القلب رغبة ورهبة بالعبد من دون الله فيصرف له شيئا من العبادات التي لا تصرف إلا لله [٢] عياذاً بالله من محبة

---

[١] انظر : فتاوى ابن تيمية [٨/٣١٦، ٣٢٠] .

[٢] انظر : فتح المجيد [٣٥١] .

ما سواه إلا له وصلى الله على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

الخصلة الثالثة :

{وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ انقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار }وفي رواية { وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه} .
وفي رواية { وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً }[1] .

وهذه الخصلة هي الشرط الثالث لتحصيل حلاوة الإيمان والبرهان اللازم لإثبات صدق محبة الله ورسوله إذ الكفر هو أبغض الأشياء إلى الله تعالى ورسوله ﷺ وهكذا ينبغي أن يكون بالنسبة لمحب الله تعالى ورسوله ﷺ ، وكانت هذه الخصلة هي البرهان الأكيد على صدق محبة الله تعالى لأنه لا يمكن أن يجتمع في القلب محبة لشئ ومحبة ضده فإن كان العبد محباً لله كان قلبه ولا شك مبغضاً للكفر وبقدر محبته لله يكون بغضه للكفر وتشتمل هذه الخصلة على كراهية كل النقائص والتخلي عن كل الرذائل حيث يجمعها كلها الكفر وذلك

---

[1] سبق تخرج هذه الروايات في ص ٧ .

شملت الخصلة السابقة محبة كل الفضائل التي يحبها الله والتحلي بها لأن إرادة الكمال مستلزمة لكراهة النقصان [١] .

وقد حدد اللفظ النبوي الكريم مبلغ هذه الكراهية في قلب المؤمن عندما يتذوق حلاوة الإيمان بغاية الوضوح والبلاغة التي تتجلى في الأمور الآتية :

١- تشبيه كراهة الكفر بكراهة الوقوع في النار :

حيث حدد ﷺ قدر كراهية الكفر في قلب المؤمن ونفوره منه بأنها مساوية لأبغض ما يتصور الإنسان وقوعه له وهو أن توقد له نار عظيمة ثم يكبل بالأغلال فيقذف فيها فيتلظى جسمه من صلاها فيتجسد بغض الكفر في وجدانه كما يتجسد بغض صلى النار في إحساسه [٢] ومع ذلك فإنه كما تصرح به الرواية الأخرى عند الفتنة في دينه يحب أن يقدم نفسه وحياته إلى النار الحامية راضياً على أن يقترف ما يبغض الله وهو الكفر فيبذل أغلى ما يستطيع فداءً لمحبة الله تعالى ويضحي بأقصى ما يمكنه في سبيل رضى الله (ولا ريب أن هذا من أشد المحبة إذ لا يقدم الإنسان على محبة نفسه وحياته

---

[١] انظر الكواكب الدراري [٩٩/١] .

[٢] انظر قطوف من رياض السنة [١٥٠] بتصرف .

شيئاً فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يلقي في النار ولا يكفر كان الله أحب إليه من نفسه فظهر أن محبة الله عنده مقدمة على النفس والمال والولد وهذا كمال المحبة [١] [١] ولذا كانت هذه الخصلة هي مصداق كمال المحبة لله تعالى .

وفي هذا التشبيه معان وإيحاءات منها :

أ- أن من حلاوة الإيمان أن يشعر المؤمن أن الكفر بمنزلة الوقوع في النار فكما يكره المؤمن النار لأنها تؤدي إلى ذهاب نفسه فهو يكره الكفر لأنه يؤدي إلى ذهاب إيمانه وأنه يستوي أن يكون المرء كافرا أو حطبا للنار (فهو لا يرى الكفر إلا نارا تلظى لا يصلاها إلا الأشقى)[٢] .

ب- وأن الإيمان بالله في الحقيقة هو حياة المؤمن وروحه الحقيقية و أن الحفاظ عليه أولى من الحفاظ على بقائه حياً في هذه الدنيا .

ج- أن المؤمن صادق اليقين بما أوعد الله من جزاء الكفار وهو النار وهو [لا يشك في أنه لو عاد إلى الكفر لايكون جزاؤه

---

[١] من هدي النبوة [٢٢١].

[٢] روضة المحبين [٢٩٩] .

غير النار] [١] والإنسان العاقل ينفر من كل ما يئول به إلى الهلاك والعطب في الدنيا والآخرة فإذا علم أن هذا الطريق يؤدي إلى النار كرهه وأبغضه وكما يهرب من النار الدنيوية فهروبه من النار الأخروية من باب أولى [٢] .

د- أن حلاوة الإيمان تتبع قوة الاعتقاد بوعد الله ووعيده وكمال اليقين بالآخرة .

٢- أن قوله في إحدى روايات الحديث { وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه} أبلغ من اللفظ الأول { وأن يكره الكفر كما يكره أن يقذف في النار } لأنه في هذه الرواية سوى بين الأمرين وفي الأولى جعل الوقوع في نار الدنيا أولى من الكفر الذي أنقذه الله منه بالبعد عنه من نار الآخرة [٣] وهذا يدل على أن كراهة الكفر أشد من كراهة النار { بحيث لو أجبر على الكفر لرضي بعذاب النار في الدنيا على الرجوع عن إيمانه } [٤] .

---

[١] من هدي النبوة [٢٢١].

[٢] من شريط الأرواح جنود مجندة .

[٣] قطوف من رياض السنة [١٥٠] .

[٤] انظر فتح الباري [٦٢/١] .

٣- إن الأفضل لمن يعذب من أجل النطق بكلمة الكفر أن لا ينطقها حتى لو أدى ذلك لأن يرمي به في نار توقد وذلك مع جواز النطق بها لمن كان قلبه مطمئنا بالإيمان وذلك لقوله تعالى : ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (النحل ١٠٦) .

٤- قوله { يكره أن يعود في الكفر } وفي رواية { أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه} وفي رواية { أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً } ظاهر العبارة يشعر أن هذا فيمن كان كافراً ثم أسلم فهو لا يتذوق حلاوة الإيمان إلا إذا كان يكره الرجوع إلى الكفر هذه الكراهية فكيف يدخل في هذا من ولد في الإسلام ؟وقد أجاب العلماء على هذا بجوابين :

أحدهما :

أن معنى { يعود } على حقيقته أي الرجوع إلى الكفر بعد الدخول في الإسلام [1] فيبقى اللفظ على ظاهرة من أنه فيمن كان كافراً ثم أسلم ولأنه كان قريب عهد بالكفر فإنه قد

---

[1] شرح السنة : باب حلاوة الإيمان وحب الله سبحانه [٤٨/١] .

تدعوه نفسه للعودة والرجوع إلى ما كان يألفه من الجاهلية [١] لكنه لما دخل قلبه نور الإيمان انكشف له من محاسن الإسلام وقبح الكفر والجاهلية ما جعله يفضل أن يقذف في النار على أن يعود لما يعلمه من قبائح الكفر لأن الإنسان إذا جرب الكفر ثم ذاق الإيمان وحلاوته وظهرت له محاسنه لم يعدل به شيئاً كما قال هرقل لما سأل أبا سفيان عن النبي ﷺ وعن صفة أصحابه : أيرتد أحد منهم سخطه دينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال أبو سفيان : لا . فقال : وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب [٢] وعلى هذا يكون الحديث خرج مخرج الغالب في عهد رسول الله ﷺ إذ معظم المسلمين في وقته أسلموا بعد الكفر [٣] .

الثاني :

إن معنى { يعود } و{ يرجع إلى الكفر } أي يصير ويتحول إليه بعد أن كان مسلماً فيشمل من كان مسلماً إبتداء ومن كان كافراً ثم أسلم .

---

[١] شرح كتاب التوحيد لابن عثيمين [٣٨٢] .

[٢] انظر صحيح البخاري مع الفتح كتاب الوحي [٣٢/١] .

[٣] انظر حاشية السندي على سنن النسائي [٩٦/٨-٩٧].

ويؤيد هذا المعنى ثلاثة أمور :

أ- قوله في الحديث نفسه { بعد إذ أنقذه الله منه } والإنقاذ يكون بالعصمة من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان كما وقع لمعظم الصحابة [١] .

ب- ويؤيده الرواية الأخرى عند الإمام أحمد { أحب إليه من أن يشرك بالله شيئاً } هذه العبارة لا يلزم منها أن يكون سبق له الكفر ثم أسلم [بل كل مسلم وقر الإيمان في قلبه وخالطت بشاشته قلبه يعلم أن الكافر في النار فيكره الكفر والشرك لكراهته دخول النار] [٢] .

ج- ويؤيده أيضا قوله تعالى على لسان شعيب عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام لما قال له قومه ﴿ ***لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا***

---

[١] انظر فتح الباري [٦٢/١] عمدة القاري [١٤٦/١] تحفة الأحوذي [٣٧٢/٧] .

[٢] انظر عمدة القارئ [١٤٦/١] .

﴿افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين﴾ (الأعراف: ٨٨- ٨٩) .

فالعود هنا بمعنى الدخول فيها والصيرورة إليها إذ لم يكن شعيب عليه السلام قط على ملتهم [١] .

٥- استخدام حرف [في] بدلا من حرف [إلى] في قوله [يعود في الكفر] له دلاله خاصة حيث إن الفعل [يعود] يتعدى إلى مفعوله بحرف [إلى] لكن استخدام حرف [في] بدله يشعر بأن الفعل قد تضمن معنى الاستقرار وكأن المراد [يكره أن يعود مستقراً فيه] [٢] .

٦- التعبير بفعل [يقذف] في قوله { كما يكره أن يقذف في النار } فيه من دقائق البلاغة والتصوير مايجسد بشاعة الكفر في وجدان المسلم حيث إن القذف هو الرمي

---

[١] انظر معالم التنزيل للبغوي [١٨١/٢] .

[٢] انظر الكواكب الدراري للكرماني [٩٩/١] فتح الباري [٦٢/١] وهذا الأسلوب يسمى التضمين ومعناه أن يضمن فعل معنى فعل آخر مناسب ويعدى بحرف الفعل المحذوف للدلالة عليه وفائدته زيادة في المعنى مع اختصار في اللفظ ومثاله في قوله تعالى [عينا يشرب بها المقربون] [فيشرب] فعل يتعدى (بحرف) من لكن فعل يشرب ضمن معنى الري فعدى بحرفة فكأنه قال يرتوي بها فاستفيد معنيان هما : الشرب والري بكلمة واحدة .

بقوة وشدة من بعيد ومنه القذيفة ويقال منزل قذف أي بعيد[١] .

٧- فكذلك صورة الكفر في البشاعة تلتهم روح الإنسان وحياته كما تلتهم النار المستعرة جسداً مكبلاً يقذف فيها من مكان شاهق ولعل في هذا إشارة إلى رفعة الإيمان وعلوه وحضيض الكفر وقبحه في حس المسلم والله تعالى أعلم .

ملاحظة : يدخل في كراهة الكفر كراهة النفاق ولذلك كان السلف أبغض شئ إلى قلوبهم هو النفاق وكان هو أخوف شئ يخافونه على أنفسهم ويحذرون الوقوع فيه .

لوازم كراهة الكفر :

إن من لوازم بغض الكفر بغض أهله وبغض كل ما يؤدي إليه.

١- بغض الكفار والمنافقين [٢]

وهو ميزان دقيق يحدد قدر بغض الكفر في قلب المؤمن وهو يعني البراءة من الكافرين على اختلاف مشاربهم وقطع كل وشيجة ولاء لهم لسبب واحد هو ما اتصفوا به من الكفر الذي يبغضه الله مع قطع النظر عن أية علاقة أخرى ولو كانت

---

[١] انظر لسان العرب مادة قذف [٢٧٧/٩] .

[٢] انظر الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنة [٣٧-٣٨] .

القرابة الحميمة كما قال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة آية : ٢٢) .

وكما فعل إبراهيم عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام مع أبيه وقومه ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ ﴾ (الممتحنة أية : ٤) .

والكفر ملة واحدة وإن اختلفت الأسماء والمصطلحات عبر القرون من شيوعية إلى علمانية إلى اشتراكية ومقتضى بغضهم النفور منهم وعدم معايشتهم ولا ينافى بغض الكافرين في الله أن يحسن إلى الذمي والمعاهد منهم [1] لقوله تعالى ﴿ لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ

---

[1] انظر الحب والبغض في الكتاب والسنة [٣٧-٣٨]

دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ .

وهذا البر والإحسان له معالمه المحددة في الفقه الإسلامي تراجع في مواضعها .

كما لا ينافي بغض الكافرين اللين في عرض الدعوة الإسلامية عليهم[1] كما أمر الله تعالى موسى باللين في القول لفرعون فقال تعالى : ﴿ فَقُولا لَهُ قَوْلا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾ (طه ٤٤) .

وقد حدد القرآن الكريم إطار القول اللين وهو الحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾ (النحل ١٢٥) .

٢- بغض ما يؤدي إلى الكفر والشرك من قول أو فعل أو صفة ومن ذلك بغض المعاصي وأهلها في الله وبغض البدعة وأهلها ويدخل في ذلك بغض كل أمر علم المسلم أنه من وسائل الشرك من لفظ أو عمل ومقتضى ذلك أن يتعرف المسلم على وسائل الشرك والبدع ليحذرها .

---

[1] انظر الحب والبغض في ضوء الكتاب والسنة [٣٧-٣٨] .

السر في كون حلاوة الإيمان في اجتماع هذه الخصال الثلاثة:

إذا علم أن وجود الحلاوة واللذة والسرور إنما يتبع المحبة وأن كمال هذه الحلاوة وتمامها يتبع كمال المحبة فإن هذه الأمور الثلاثة هي عنوان كمال الإيمان الموجب لكمال المحبة في قلب العبد وذلك للأسباب الآتية :

١- أنه لا يتم إيمان المرء حتى يتمكن في نفسه اعتقاد أن المنعم الحقيقي والأول هو الله سبحانه ، وأنه لا مانع ولا معطي سواه ، وأن ماعداه وسائط مسخرة بأمر الله فلا تضر ولا تنفع إلا بأمره .

وأن الرسول ﷺ هو الذي يبين له مراد ربه وأحكامه وما يرضي به و ما يسخط .

ذلك يقتضي أن يتوجه بكليته إلى الله سبحانه فلا يحب إلا ما يحب ولا يحب إلا من أجله ولا يبغض إلا ما يبغض وهو الكفر والمعاصي ولا يبغض إلا من أجله وأن يتيقن بأن وعده ووعيده حق يقين حتى كأنه يشاهد أن العود إلى الكفر إلقاء في النار وأن مجالس الذكر رياض الجنة [1]

٢- أن هذه المحبة لله ورسوله والمحبة فيه وكراهة الرجوع إلى الكفر لا تصح حقيقة إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت

---

[1] انظر فتح الباري [٦١/١] عمدة القاري [١٤٦/١]بتصرف .

حق يقين حتى كأنه يشاهد أن العود إلى الكفر إلقاء في النار وأن مجالس الذكر رياض الجنة [١]

٢- أن هذه المحبة لله ورسوله والمحبة فيه وكراهة الرجوع إلى الكفر لا تصح حقيقة إلا لمن قوي بالإيمان يقينه واطمأنت به نفسه وانشرح له صدره وخالط لحمه ودمه وهذا وهو الذي يجد حلاوة الإيمان [١] .

٣- إن هذه الأمور الثلاثة جمعت تحقيق كمال الدين وكمال السعادة في الدنيا والآخرة فحقيق أن ينال صاحبها حلاوة الإيمان.

ذلك أن أصل استقامة الدين والدنيا بكمال الإحسان في معاملة الخالق وكمال الإحسان في معاملة المخلوقين والخصلة الأولى تتضمن كمال الإحسان في معاملة الخالق والخصلتان الثانية والثالثة تتضمنان كمال الإحسان في معاملة المخلوقين المؤمنين والكافرين [٢] ثم إنهما ترجعان إلى الأولى فمن أدعى حب الله ورسوله ﷺ فليختبر نفسه في حب المرء لماذا يحبه وفي كره الكفر كيف يجد نفسه إن ابتلى بذلك فهاتان العلامتان

---

[١] انظر فتح الباري [٦١/١] عمدة القاري [١٤٦/١]بتصرف .

[١] انظر : شرح صحيح مسلم للنووي [١٤/٢] بتصرف .

[٢] انظر : من هدي النبوة [٢٢١] .

وبذلك يعلم كمال شفقته ﷺ على أمته حيث حرص على أن يجمع للمؤمن كل ما يحقق خصال الحديث الثلاثة في الدعاء الذي علمه أمته بتعليم ربه له حيث قال ﷺ { أتاني ربي عز وجل يعني في المنام – فقال لي :يا محمد قل اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك والعمل الذي يبلغني حبك] [١] ودعائه الآخر { اللهم ارزقني حبك وحب من ينفعني حبه عندك اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله قوة لى فيما تحب اللهم مازويت عني مما أحب فاجعله فراغاً لي فيما تحب} [٢] .

فوائد الحديث :

١- المحبة هي أساس كل عمل الإنسان وحركته في الحياة[٣]

٢- المحبة في الإسلام هي أساس كل خير وجماع الفضائل وتدور كل أعماله عليها وهي شرط في الإيمان [٤] .

---

(١) أخرجه الترمذي كتاب تفسير القرآن باب [من سورة ص] [٣٦٩/٥] مطولاً وفيه (قال رسول الله ﷺ إنها حق فادرسوها ثم تعلموها) قال الترمذي { هذا حديث حسن صحيح } وذكر تصحيح البخاري له .

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات [٥٢٣/٥]قال { حسن غريب } وانظر جامع العلوم والحكم [٣٤٠/٢] .

(٣) انظر إغاثة اللهفان [١٢٣/٢] .

(٤) من هدي النبوة [١٢٣]

٣- يحرم صرف المحبة الخاصة لغير الله فلا يحب أحد لذاته إلا الله الغني بذاته عن كل ماسواه ومن سواه فقير بذاته إليه[١].

٤- أساس العبودية لله يقوم على كمال محبته تعالى مع كمال الذل له والخضوع و كمال الخوف والتعظيم وهي حقيقة لا إله إلا الله .

٥- إثبات محبة المؤمنين لربهم محبة قلبية لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً وهي فوق كل محبة ولا نسبة لسائر المحبوبات إليها[٢] وحقيقتها تعلق العبد بربه ذلاً وخضوعاً وتعظيماً يجعله خاضعاً لأوامره ونواهيه عن رضا وقبول .

٦- أن محبة غير الله إذا لم تكن من أجل الله فهي إما محبة مع الله وهي من أعظم الشرك أو محبة لغير الله ومحبة المرء لغير الله تنقص محبة الله وتضعفها وقد تؤدي إلى الفسوق أو الشرك[٣] والعياذ بالله .

٧- إثبات وجود شرك المحبة وهو أن يشرك مع الله أحداً في أصل الحب أو يقدم محبته على محبة الله .

---

(١) روضة المحبين [٢٩٢] .

(٢) مدارج السالكين [١٨/٣] إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد [١٤١].

(٣) روضة المحبين [٢٩٩] .

٨- أن أصل البدع والذنوب والمعاصي تنشأ من تقديم محبوبات الإنسان على أوامر الله ورسولهﷺ وما يحبه الله ورسولهﷺ أو محبة ما يكرهه الله ورسولهﷺ وذلك يقدح في كمال التوحيد [١]

٩- لا يكون الإنسان مؤمناً حتى يقدم محبة الله ورسولهﷺ على محبة ما سواهما .

١٠- حلاوة الإيمان تتبع كمال محبة العبد لله ورسولهﷺ فتزيد بزيادتها في قلب العبد وتنقص وبنقصها .

١١- علامة محبة العبد لله تقديم مراضي الله ومحبوباته على كل محبوب سواها.

١٢- علامة محبة العبد لله أن تكون محبة العبد موافقة لما يحب الله ورسوله وبغضه موافقا لما يبغض الله ورسولهﷺ [٢] .

١٣- تفاوت الناس في محبة الله ورسولهﷺ وبحسبها يتفاوتون في تذوق حلاوة الإيمان وأما وجود أصل المحبة لله ورسوله فهي شرط للدخول في الإسلام [٣] .

---

[١] جامع العلوم والحكم [٢/٣٤٧] .

[٢] جامع العلوم ، والحكم [٢/٣٩٦] .

[٣] فتح الملهم [١/١١٢-١١٣] .

١٤- إثبات زيادة الإيمان ونقصه (١) إذبحسبه يكون إحساس العبد بحلاوته وبحسب ذلك يتفاضل الناس وإن صدور الذنب ينقص الإيمان ولا يزيله بالكلية إلا الشرك والعياذ بالله

١٥- إثبات حلاوة حسية مدركة بالقلب للإيمان .

١٦- إن محبة الرسول ﷺ هي من محبة الله وأنها تابعة لها ولا يصح إيمان المرء إلا بها كما لا يصح أن يكون حبه ﷺ مع الله بل محبته من أجل الله تعالى .

١٧- جواز استخدام ضمير التثنية في الجمع بين الله ورسوله في حال التعبير عن محبتهما وطاعتهما .

١٨- الحب والبغض في الله من لوازم محبة الله تعالى ورسوله(٢) ومن شروط الإيمان .

١٩- البرهان الوحيد على صدق محبته ﷺ هو طاعته ومتابعته وحصر الاهتداء بهدية (٣) .

٢٠- محبة المسلمين في الله من واجبات الإسلام .

٢١- محبة المرء لله تكون لما قام به من طاعة الله ورسوله ﷺ لا لسبب آخر فهي تابعة لما يقوم به الشخص من محبوبات الله ورسوله ﷺ من الأقوال والأعمال والطاعات .

---

(١) عشرون حديثاً من صحيح البخاري [١٦٨] .

(٢) الحب والبغض في ضوء القرآن والسنة ص (٨).

(٣) صفوة الآثار [٤/١٠٩] .

٢٢- الحث على تحابب المسلمين في الله والإخلاص فيها وأنها من أعظم القربات لأنها سبب في الحصول على حلاوة الإيمان .

٢٣- رضى الله ورسوله ميزان المؤمن في محبة الشخص الواحد وبغضه وولايته وعداوته فتكون بقدر ما يقوم به من طاعة الله أو معصيته فيحبه على قدر طاعته ويبغضه على قدر معصيته وأيما غلب منها يكون هو الراجح في هذا الشخص [١].

٢٤- محبة العمل الذي لله من صلاة وسائر العبادات والأقوال والأخلاق الفاضلة التي يحبها الله ورسوله هي من محبة الله ورسوله ﷺ [٢] .

٢٥- إن محبة الله تعالى تقتضي كراهة الكفر وأهله .

٢٦- علامة صدق إيمان العبد أن يكون الوقوع في نار الدنيا أحب إليه حقاً من العود في الكفر [٣] .

٢٧- شدة بغض المؤمن للكفر والكافرين والنفور منهم سبب لنيله حلاوة الإيمان .

---

[١] انظر فتح الملهم [١/١١١] إفادة المستفيد [١٤١] قطوف [١٥١] .

[٢] إفادة المستفيد [١٤١] .

[٣] عشرون حديثاً من صحيح البخاري [١٦٨] .

٢٨- فيه دليل على عداوة المشركين والكافرين على اختلاف أصنافهم وبغضهم [١] وفضل من صمد على التعذيب في دينه حتى يقتل [٢] .

٢٩- حلاوة الإيمان تتبع كمال اليقين بوعد الله ووعيده

٣٠- لا تكمل حلاوة الإيمان إلا لمن قوي يقينه وكملت محبته لله ورسوله ﷺ ووجه كل مشاعره حباً وبغضاً وكل أفعاله عطاء ومنعاً فعلاً وتركاً فيما يحب الله ورسوله وفيما يكرهه الله ورسوله ﷺ .

٣١- وجوب تقوية الإيمان [٣] بامتثال ما يحب الله ورسوله والبعد عن ما يكرهه الله ورسوله لأنه السبيل الوحيد للحصول على السعادتين في الدنيا والآخرة .

٣٢- بلاغته ﷺ حيث جمع الحديث خصال السعادة في الدارين .

٣٣- استعمال التشبيه وضرب الأمثلة [٤] في توضيح الأحكام الشرعية .

---

[١] تيسير العزيز الحميد [٤٧٩] .

[٢] [٣] قطوف من رياض السنة [١٥١] .

[٤] عشرون حديثاً من صحيح البخاري [١٦٨] .

٣٤- أهمية روايات الحديث المختلفة في فهم مراده ﷺ متى صح سندها .

والله أعلم وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا وقدوتنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد ..

فإن هذا الحديث الجليل يقدم للمسلمين الأساس في إصلاح القلب والعمل ويرسم صورة واضحة للمؤمن كامل الإيمان الذي يتوجه بكليته إلى ربه فلا يحب إلا ما يحب ولا يبغض إلا ما يبغض ويظهر هذا التوجه في ثلاثة أمور :

١- أن يقدم طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ على ماعداهما مطلقاً .

٢- أن يجعل الغاية من صلته بالمخلوقات والبشر خاصة وحبه لهم أن ينفعهم أو ينتفع منهم بخير أخروي فلا يدفعه للحب جاه أو مال أو غرض زائل .

٣- أن يتمسك بدينه ويستعذب الأذى في سبيله ويكره الدخول في الكفر والفسوق والعصيان كما يكره أن يقذف به في النار [١] وبهذه الأمور تتكون شخصية المسلم كما يرضاها الله ورسوله كما أن هذه الشخصية هي المؤهلة للقيام بالخلافة الراشدة في الأرض .

---

[١] انظر : المنهل الحديث [١١/١] .

نسأل الله عز وجل بأسمائه وصفاته أن يرزقنا صدق محبته وصدق اتباع نبيه ﷺ وأن يثبتنا على ذلك حتى نلقاه إنه تعالى جواد كريم .

وصلي الله وسلم وبارك على نبينا وقدوتنا عبد الله ورسوله محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

المراجع

١- الأخوة : جاسم بن محمد بن مهلهل .

٢- الأخوة الإسلامية وأثارها : عبد الله الجار الله .

٣- الأخلاق الإسلامية : عبد الرحمن حبنكة الميداني .

٤- إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري / القسطلاني .

٥- إغاثة اللهفان : ابن قيم الجوزية .

٦- إفادة المستفيد بشرح كتاب التوحيد .

٧- أوثق عري الإيمان [ضمن مجموعة التوحيد] : محمد بن عبد الوهاب .

٨- البداية والنهاية : لابن كثير .

٩- بهجة قلوب الأبرار : عبد الرحمن السعدي .

١٠- تيسير العزيز الحميد : سليمان عبد الله آل الشيخ .

١١- تحفة الأحوذي المباركفوري .

١٢- جامع العلوم والحكم : لابن رجب .

١٣- الحب والبغض في ضوء القرآن الكريم والسنة الصحيحة: سليم الهلالي .

١٤- حقوق اقتضتها الفطرة : الشيخ محمد بن عثيمين .

١٥- الرسالة التبوكية [زاد المهاجر إلى ربه] : ابن قيم الجوزيه .

١٦- روضة المحبين : ابن القيم .
١٧- السلسلة الصحيحة : للألباني .
١٨- سنن الترمذي .
١٩- سنن النسائي .
٢٠- شرح ثلاثيات مسند أحمد .
٢١- شرح السنة : البغوي .
٢٢- شرح صحيح مسلم : للنووي .
٢٣- شرح العقيدة الواسطية : لابن عثيمين [مذكرة].
٢٤- شرح كتاب التوحيد : لابن عثيمين [مذكرة] .
٢٥- صحيح البخاري .
٢٦- صحيح الجامع الصغير : للألباني .
٢٧- صحيح مسلم .
٢٨- صفوة الآثار : للشيخ عبد الله الدوسري .
٢٩- عشرون حديثا من صحيح البخاري:عبد المحسن العباد.
٣٠- العبودية [ضمن مجموعة التوحيد] : لابن تيمية .
٣١- عمدة القاري شرح صحيح البخاري:بدر الدين العيني.
٣٢- فتح الباري : لابن حجر .
٣٣- الفتح الرباني : الساعاتي .
٣٤- فتح المبدي : الزبيدي .

٣٥- فتح المجيد : عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ .
٣٦- فتح الملهم : شبير أحمد الديونيدي .
٣٧- الفرق بين الفرق : البغدادي .
٣٨- فضل الله الصمد : فضل الله الجيلاني .
٣٩- الفوائد : لابن القيم .
٤٠- في ظلال المحبة .
٤١- قطوف من رياض السنة .
٤٢- كشف الشبهات : محمد بن عبد الوهاب .
٤٣- الكواكب الدراري على صحيح البخاري : للكرماني .
٤٤- لسان العرب : ابن منظور .
٤٥- قطوف من الأدب النبوي .
٤٦- مدارج السالكين : ابن القيم .
٤٧- مسند الإمام أحمد .
٤٨- المصباح المنير : للرافعي .
٤٩- معالم التنـــزيل : للبغوي .
٥٠- الموطأ : للإمام مالك .
٥١- من هدي النبوة : كمال الدين الطائي .
٥٢- مجموع فتاوي ابن تيمية .

الناشر
دار المجتمع للنشر والتوزيع
الرئيسي جدة - ميدان الجامعة - ص.ب ٤٠٨٤٥ - جدة ٢١٥١١ { الإدارة ٦٨٩١٤١٧ / المكتبة ٦٨٩٤٤٦١ / الفاكس ٦٨٩٤١٤٤
الفروع : الخبر - شارع الأمير نايف - تقاطع ١٦ - ص.ب ٢٣٢١ - الخبر ٣١٩٥٢ { المكتبة ٨٩٤١١٣٦ / الفاكس ٨٩٤١١٣٦
• المدينة المنورة - الدائري الثاني - دوار القبلتين - ص.ب ٢٠٢٤٢ { المكتبة ٨٢٣٦٣٠٦ / الفاكس ٨٢٣٦٣٠٦